الجيوش الطلع

بالمرهفات القطع إلى ابن مايابى أخي التنطع

الخليفة الحاج محمد انياس

نيل المرام
NAYLOUL MARAM
WAKEUR MAME KHALIFA NIASS

الخليفة الحاج محمد انياس

الْجُيُوشُ الطُّلَّعُ
بِالْمُرْهَفَاتِ الْقُطَّعِ
إِلَى ابْنِ مَايَابَى أَخِي التَّنَطُّعِ

نَظْمُ وَشَرْحُ

الْخَلِيفَةِ الْحَاجِ مُحَمَّدٍ انْيَاسْ
ابْنِ السَّيِّدِ الْحَاجِّ عَبْدِ اللهِ انْيَاسْ
التِّجَانِيِّ الْكَوْلَخِيِّ السِّنِغَالِيِّ

تَقْدِيمٌ وَتَحْقِيقٌ

ابْنِ الْمُؤَلِّفِ؛ سَيِّدِي الْأَمِينِ انْيَاسْ؛ رَئِيسِ مَجْمُوعَةِ وَالْفَجْرِ الْإِعْلَامِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ وَ الْفَجْرِ الْإِعْلَامِيةِ بالسِّنِغَالِ

العنوان: **الجيوش الطلع بالمرهفات القطع إلى ابن ما يأبى أخي التنطع،**

المؤلف: **الحاج محمد الخليفة انياس.**

المقياس: **17×24**

عدد الصفحات:

الناشر: **ابن المؤلف؛ سيدي الأمين انياس= مجموعة والفجر الإعلامية،**

شارع: 12، FROND DE TERRE [.....]دكار، السنغال.

سنة النشر: 1435هـ=2014م

بلد النشر:

الطبعة: الثالثة.

الطبعة الأولى: [القاهرة، مطبعة دار التأليف، 1374هـ=1955م] الطبعة الثانية: [دكار، الناشر: سيدي الأمين انياس=مؤسسة والفجر، والسنغالية للطباعة] 1416هـ=1996م].

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

© جميع الحقوق محفوظة

كَلِمَةُ النَّاشِرِ

بِقَلَمِ سَيِّدِي الْأَمِينِ انْيَاسْ
رَئِيسِ مَجْمَوعَةِ وَالْفَجْرِ الْإِعْلَامِيَّةِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني؛ يفقهوا قولي.

أما بعد:

لي الشرف العظيم؛ أن أعيد مرة أخرى طِباعة كتاب «الجيوش الطلع بالمرهفات القطع» للعالم الجليل، والمفكر الكبير، البحر العلامة، والحبر الفهامة، الرجل الصالح، والقدوة النافع، فريد عصره، وفخر قرنه؛ من أعاد إلى الدين هيبته، وإلى الصوفية عامة، والتجانية على وجه الخصوص كرامتها: الخليفة الحاج محمد انِيَاسْ.

والدافع إلى إعادة طبع كتاب «الْجُيُوشِ الطُّلَّعِ بِالْمُرْهَفَاتِ الْقُطَّعِ»، بعد أن قُمتُ بطبعته الثانية منذ ما يقرب عقدين من الزمن؛ ما سأوضحه خلال هذه السطور بكل إيجاز، مع كون المحل محل بيان؛ فجاز فيه الإطناب.

فألخص فيما يلي منهجية العمل في هذه الطبعة الجديدة؛ تَتْلُوها الدواعي التي حفزتني إلى هذا الإصدار:

1- العناية بالكتاب عناية فنية علمية؛ وفق أصول التحقيق؛ والتوثيق؛ مع مراعاة تقديم الكتاب في صورة مبسطة ومهذبة تكون في متناول الجيل الجديد؛ وتَتَجسد هذه الخدمة في الآتي:

أ) إعادة صياغة الكتاب صياغة ميسَّرَة، وتشكيل متن المرهفات؛ الذي عليه شرح الجيوش لأول مرة.

ب) عَنْوَنَةُ فقراته؛ كي يجد القارئ تقسيما للكتاب؛ ومتنفسا خلال قراءته؛ ثم وضع قائمة لمحتوياته كما هو متعارف عليه علميا.

ج) رسم الآيات القرآنية وفق المصحف والخط العثماني؛ بإحالة النص القرءاني إلى أرقامه وسوره؛

د) تشكيل الأحاديث النبوية؛ وعزوها موثقة في الهوامش؛ بتخريج ما لم يُخَرِّجْهُ المؤلف منها في الطبعة الأولى؛ ذلك أن المؤلف في كثير من الأحايين كان يقوم بتخريج الأحاديث بنفسه؛ ومن هنا أبقيت تَخْريجاته داخل النص كما هي.

هـ) توثيق النقول والاستشهادات إلى مصادرها؛ قدر المستطاع. ويجدر بالذكر أن ثمة نصوص لم نُوَفَّقْ في الحصول على أصولها؛ نظرا لنفاد مصادرها؛ أو صعوبة التوصُّل إليها خلال الوقت المتاح لي.

و) تذييل الكتاب بملحق يتضمن ردا آخر للمؤلف على منكر آخر للطرق الصوفية عامة؛ فكان المدافع عنها بنفس الوتيرة. والملحق عبارة عن قصيدتين أوردهما له سيدي أحمد سكيرج في كتاب «الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوئ الوقتية»؛ ردًّا على ابن الموقت المراكشي؛ اسْتَلَلْتُهما من هناك مع تقديم من عندي؛ وشهادة من سيدي أحمد سكيرج في حق الناظم؛ الخليفة الحاج محمد انياس.

ز) التقديم للكتاب في صورة تمهيدٍ تعالج قضايا الساحة العالمية الفكرية؛ يجد من خلالها الكتاب نافذة على المستجدات العصرية الفلسفية منها والأدبية؛ حتى

يكون مادة الكتاب على تماس مع العلوم الإنسانية؛ لتكون اسما لمسمى! ومرجعية في إطار بناء محتوى للعولمة؛ يساهم في ملء الوعاء الفارغ لها.

2- الرد على منكري الطريقة، ردا يتجاوز شخصا بمفرده إلى نهجهم القائم على الافتراء على أولياء الله؛ بحجج من القرآن والسنة؛ فلا نتركهم ينجرفون وراء مسلك تحريف الكلم عن مواضعه.

3- توجيه عتاب لطيف إلى قوم من أهل الطريقة، والقرابة؛ نشروا «المرهفات» دون ذكر الناظم عمدا، والحق يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾. (سورة النساء: 58).

4- التنديد بسلوك من ينتحل «الجيوش الطلع»؛ بعيدا عن الأخلاقيات المهنية.

5- وأخيرا انتهيتُ بأصحاب الاتجاهات المادية الذين يضعون منهجا للحياة على أساس من العارض الزائل، وعلم الرسوم الذي هو قشور وسطحي؛ فأردت أن أدعوهم إلى الجادة قبل فوات الأوان.

والله أدعوا أن يوفقني لما فيه الصواب.

تَمْهِيدٌ

بِقَلَمِ النَّاشِرِ سَيِّدِي الْأَمِينِ انْيَاسْ
رَئِيسِ مَجْمَوعَةِ وَالْفَجْرِ الْإِعْلَامِيَّةِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزل الكتاب؛ ولم يجعل له عوجا؛ فضمن لعباده المؤمنين جمعه وبيانه؛ فقال؛ وقوله الحق: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ (سورة القيامة: 17، 18، 19).

فابتلى الأشراف بالأطراف؛ سنته في خلقه؛ ولن تجد لسنته تبديلا:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ (سورة الأنعام: 112).

والصلاة والسلام على من بُعِثَ معلما؛ فقال وهو الصادق المصدوق: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا»[1]؛ فجعل العلماء ورثة الأنبياء في الثبات على الحق ومواجهة الباطل: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ... »[2].

1. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (126/4).
2. رواه البخاري: (3640)، ومسلم: (1921).

الإنكار على الطريقة التجانية حقد بلا مبرر:

كتب الخِضْرُ بن مايابى في عشرينيات القرن العشرين هجمته الشرسة، و حقده الدفين، ومحاولته الخاسرة لِلَفْتِ الأنظار، و كسب الأعيان من الأمراء، والسلاطين الذين - لأسباب غير معلنة - يتحاملون على كل ما يرفع من شأن أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - فاغتنمها فرصة لجلب حطام الدنيا الفانية؛ فكان كتابه منذ العنوان «مُشْتَهَى الْخَارِفِ الْجَانِي فِي رَدِّ زَلَقَاتِ التِّجَانِيِّ الْجَانِي» إلى آخر سطر من الكتاب قذفا، و قدحا، و ذما، و شتما، و نميمة لرجل صالح من أولياء الله المقربين؛ أحمد بن محمد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه، الذي قد قضى نحبه بين الأخذ، و العطاء بكل سخاء؛ فجمع بين علم اليقين، و حق اليقين بعد أن حرر العلوم و الفنون المختلفة: الرسومية منها و اللدنية، كما جمع بين العلم والعمل؛ و بين الخشية و الحركة؛ فلما امتلأ بحره المحيط الفياض بألوان و أطياف المعارف؛ أمر حواريّه ومريديه أن سبحوا بكرة وعشيا واستغفروا ربكم إنه غفارا، وصلُّوا و سلَّمُوا علي خير خلقه، و هَلِّلُوا لربكم تدخلوا جنان باريكم. وامْتَثِلُوا أوامر ربّكم فيما بدأ فيه بنفسه، و ثَنَّى بملائكة قدسه. فدَخلوا أفواجا في دائرة الإيمان.

فكاد المنكرون يكونون عليه لبدا؛ فخرجت أقلام و ألسنة حداد، و في المقدمة غولٌ أَنْيَابُهُ كَأَنَّهُ رؤوس الشياطين.

هكذا قام ابن مايابى؛ و كان ممن يقعد مقاعد للسمع. فبدأ كتابه بالقدس الشريف؛ و ثَنَّى فيه بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله سلم، وثلَّثَ بالبيت العتيق ليضفي على كتابه قداسة، و قال مع قومه: إن الله ثالث ثلاثة: الله، الملك، الشعب.

فكفَّروا من قالوا: ربُّنا الله؛ ثم استقاموا؛ ممن تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا، ولا تحزنوا، فخرجت «المرهفات القطع» نظما لتقول: فَمَن يستمع الآن يجد له شهابا

رصدا، ثم تلتها الجيوش الطلع بالشرح لتفنيد أباطيل المنكرين الملصقة؛ و المفرقعة؛ كأنها بيت العنكبوت.

فعاد قوم عاد إلى عادتهم؛ كما عادت ريمة لِعَادتها القديمة[3]، فقمتُ بطبع الكتاب من جديد؛ منذ عقدين من الزمن، اعتمادا على نسخة الطبعة الأولى، وأعلنتها في المقدمة: إنْ تَعُودُوا نَعُدْ.

ثم تَبَيَّنَ لي أنه نهج في التخريب، والتنكيل، وأُسْطُوَانَةٌ تُرَدِّدُ نفس الأباطيل؛ لتصبح مع الأيام حقيقة مفروضة بصم الآذان، وتغطية العيون، وتضليل العقول؛ فعدتُ بطبعة جديدة مرة أخرى؛ مع تمهيد، و تحقيق، و تصرف في النسخة الأصلية، بإذن من وارد؛ غرفًا من معين، وبمعية معين.

❄ ❄ ❄

هكذا أعدتُ صياغة «الجيوش الطلع» في هذه الطبعة الجديدة؛ و ما خرجت عن مفرداتها و معناها؛ إلا لماما؛ بل إنما سهلت استيعابها، و هضمها للجيل الجديد، فَـ«الْجُيُوشُ» و «الْمُرْهَفَاتُ» كافية بنفسها؛ فهي تذب عن حرم الطريقة؛ فالبيت لبانيه، إلا أني أقمت الجدار و تحته كنز لغلامين يتيمين من أب صالح عظيم.

ليس قصدي أبدا أن أهجم شخصا ولا أن أتهكم عليه؛ إنه دعوة وحوار لمن أراد أن يستقيم، كما أنه نصح وصيحة للبعيد وللقريب؛ بعيدا عن النعرة الجاهلية، والطرقية والتمسلفية وغيرها من صور ضيق الأفق؛ أو ادعاء ملكية الحقيقة المطلقة.

فأقول مع الإمام الشافعي عليه رضوان الرحيم : "رَأْيِي صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَرَأْيُ غَيْرِي خَطَأٌ يَحْتَمِلُ الصَّوَابَ".

3. مثل عربي مشهور.

الحاج محمد الخيفة انياس: نَجْدَةٌ جَاءَتْ فِي وَقْتِهَا:

الحاج محمد الخليفة نياس ولي ومصلح ومجدد؛ صفات ثلاثة ذات قاسم مشترك: الإتيان بفهم جديد.

ثم إنه عالم مستنير، أديب، و متصوف من أكابر الطريقة التجانية؛ فهو الذَّابُ عن حريمها، وحصنها المنيع، وسيفها المسلول.

ولد رضي الله عنه يوم الجمعة 2 رمضان 1298 هـ عند الظهر الموافق 29 يوليو 1881م؛ و تولَّى خلافة والده الحاج عبد الله نياس يوم الأربعاء 18 شوال 1340 عند الظهر أيضاً الموافق 14 يونيو 1922م.

عاش الخليفة عهدا اشتدَّ فيه الانكار على الطريقة التجانية بأسلوب همجي حاقد بلا مبرر مع خلط تام لطمس الحقيقة، فجاء رده هذا في أسلوب هادئ، سلس متزن، و بتواضع تام؛ فأصبح مرجع الكل و الحجة البالغة فأعاد إلي الطريقة هيبتها ، و إلي الدين عزه و كرامته. و إلى جانب التأليف كان يقضي المغفور له وقتا طويلا في التدريس، و التربية، والترقية، و تفقد أحوال المسلمين، و مؤازرة المحتاجين و جمع الشمل و إصلاح ذات البين؛ ذلك برنامجه اليومي، و في ليله يسهر بين السبحة للمناجاة، والقلم للمداعبة؛ فيرسل النفس علي سجيتها حبا لمن تيم قلبه.

و كان خير خلف لخير سلف حتي وافته المنية ليلة الاثنين 2 شعبان 1378هـ بعد الغروب الموافق للفاتح من مارس 1959 م بمدينة كَوْلَخْ، فالتحق بوالده و قد أدى الأمانة، و بلغ الرسالة، و نصح الأمة؛ و لم يقصر.

و اليوم و قد عاد قوم عاد إلى عادتهم؛ كما عادت حليمة هي الأخرى إلي عادتها اللئيمة؛ وأعيدت طباعة كتاب المنكر ابن مايابى؛ فكنا بالأحرى نقول: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا)؛ لا سيما أن كتاب الوالد هذا يبقى دائماً معاصرا؛ كأنه وليد اليوم، و أن

الموضوع لا زال موضوع الساعة، فيأتي عملنا هذا لإزالة ضجة مفتعلة لوضع النقاط علي الحروف؛ حتي يتبين لهم أنه الحق.

الْجُيُوشُ في السياق الفكري الإنساني المعاصر:

في هذه العجالة أريد أن أقدم بسطا؛ ليكون دليل عمل لإيصال رسالة واضحة يستنير بها الشباب، وأصحاب العقول، و يكون صوت نصرة للأمة المغلوبة في أرجاء المعمورة من خلال الجمع بعد الفرق، بين إعلام العولمة، و الرسالة الهادفة.

فالطريقة التجانية هي الحياة بأسرها، والحياة هي الطريقة التجانية في أسرارها؛ تلك هي العلاقة الجدلية بين الحياة و التجانية؛ فمدار رحاها هو الإنسان، والهمة من أجل السمو الروحي في حياة أفضل؛ فكان عنوانها العريض هو الهمة، فجاء في مقال سيدنا الشيخ رضي الله عنه : (**هِمَّةُ الإِنْسَانِ قَاهِرَةٌ لِجَمِيعِ الأَكْوَانِ**).

وتختلف الطريقة التجانية عن غيرها، كونها منفتحة، و منسجمة؛ تجتمع فيها المادة و المعنى، فهي طريقة شكر النعم؛ فتملك تكوين أجيال على درجة عالية من قيم الايمان، والصدق، والنزاهة، والرحمة والعدالة، والحرية، والفعاليَّةِ في العمل؛ و ذلك حلم الانسان اليوم.

تاريخ يعيد نفسه:

ظهرت الطريقة التجانية في وقت فَشَتْ فيه الدعوى البهتانية، و عَمَّت ظاهرة الاستدراج، و انتشرت الزوايا؛ و كانت فيها خبايا ؛ فأرخى الظلام سدوله؛ و تَفَشَّى الطيش، و اشتاقت الأنفس إلى النور، فتعددت الخلوات و تفنن الرجال في الأذكار، و صياغة الأحزاب[4]، و ظاهرة المشيخة ؛ فادَّعَى كُلٌّ وَصْلًا

4. بالاصطلاح الصوفي: أذكار وأوراد.

بِلَيْلَى؛ حتى انفلق النور في وسط الظلام؛ فتبين الرشد من الغي، فكانت التجانية طريقة القوم؛ فتسابق إليها الرجال العظام بأقدامهم الراسخة في العلم، و الزهد والتقوى ؛ فجاءت الهمة العالية و الهداية الربانية لتوطد تلك المسيرة المليونية التي انطلقت من الصحراء إلى السفانا، فكان رمزها: السبحة والسيف، وإعلان فيضة ستعم البسيطة، وكما صرح الوالد الحاج محمد خليفة انياس الكولخي السنغالي في كتابه «الكبريت الأحمر»:

عَمَّتْ فُيُوضَاتُ هَذَا الشَّيْـــخ سَيِّدِنَا ... أَهْلَ الْبَسِيطَةِ أَهْلَ الْبَـدْوِ وَالْحَضَرِي

فِي الصِّينِ وَالْهِنْدِ أَسْرَارُ الْطّرِيقَــةِ مَعْ ... أَنْوَارِها فِي رِجَالٍ كُمَّـــــلٍ غُرَرِي

فِي الشّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالدُّنْيا الْجَدِيدَةِ مَعْ ... أُفْقِ السَّمَاءِ كَضَوْءِ الْشّمْسِ وَالْقَمَرِي

لَيْسَ الْتَّمَيُّزُ بْالْمَلْبُوسِ شِيمَتَهُـــــمْ ... وَفِي فَنَاءِ فَنَاءِ رُتْبَةُ السَّتُرِي

فَالْمُلْكُ مَعْ مَلَكُوتِ اللهِ فَاضَ بِهـــا ... وَفَاحَتِ الْأَرْضُ مِنْ فَيْضَانِه الْعَطِرِي

مَنْ شَمَّ فَيْحَةَ هَذَا الْفَيْضِ نَالَ هُــدَى ... كَمَا يُنَالُ صَفَاءُ الْقَلْبِ عَنْ كَدَرِي

أَحْيَ الْإِلَهُ بِهِ مَوْتَى الْقُلُـــــوبِ فَمَا ... قَلْبٌ بِهِ غَيْرَ مَشْرُوحٍ وَمُبْتَشِـــرِي

فكان لها رجال تعد لهم المزايا العظام فعمت حواضر الطريقة أنحاء الأرض.

فمدينة كولخ السنغالية نار على علم؛ و لها أخوات كعين ماض، فاس، و أبو سمغون، و الشلالة، و تماسين، و تونس، و شنقيط، و تِواون؛ و أشيرَ بالبنان إلي سيدي علي التماسين، و سيدي علي حرازم برادة، و الشيخ محمد الحافظ، والشيخ عمر الفوتي، و الحاج عبد الله نياس، و الحاج مالك سي ...

أولئك الرجال هم آباؤنا؛ فما أشبه الليلة بالبارحة، فالتاريخ يعيد نفسه مرة أولى في صورة مأساة؛ و مرة أخرى في صورة ملهاة!.

زوبعة في فنجان:

فعالمنا اليوم حائر يبحث عن عصا نجاة في بحر أمواجه مترامية، فاعتقد البعض و لمدة من الزمن في الحل المادي للأزمات، و أن الفقر والشقاء نتيجة الحرمان؛ فتهافت الفلاسفة، و هام وراءهم البشر؛ فجرى الحديث عن المادية الجدلية والتاريخ الجدلي؛ فجاءت أطروحة ماركس: فأثيرت المرحلة البدائية والإقطاعية و الرأسمالية والإمبريالية؛ فنشر لها الأعلام، و قيدت لها "البرافدا"؛ مما دار بالكرة الأرضية شرقا و غربا؛ حتى حسبه الظمآن ماء فإذا هو سراب. فانهار حائط برلين الكبير، و انكسر إيوان السُّوفْيِيتْ العظيم، وصور الصين القديم، و غابات كوبا و هافانا الشاسعة؛ و قالوا بنهاية التاريخ؛ لأن العالم لم يعد ازدواجيا.

وجاءت الرأسمالية لتفتخر على الحضارات، و ادَّعت أميركا و الغرب بأنها اللبنة التي بها تم بناء الهيكل، و أنها الفرد الجامع، و القطب الأوحد.

فانتشر ضجيج الديمقراطية، و الحرية الليبرالية، و شاعت الممارسات المنافية للقيم و الأخلاق؛ ليصبح العالم بلا قيم؛ الوسيلة فيه و الغاية هي السلعة، والقانون ما بين العرض و الطلب؛ فعادت المادة في ثوب جديد؛ فظهر إعلام الأقمار الصناعية، فأصبح الكوكب الأرضي قرية صغيرة؛ فسادت الأصوات و الصور و الكتابات من خلال "النِّيتْ، و السَّاتْ، و الْمَوبايل" فَمُلِئَتْ تلك الأوعية بإعلام دعائِيٍّ يحول الانسان حيوانا يلهف، و المادة صورا متحركة جذابة.

إلا أن أميركا المُدَّعية بأنها تملك الأمن و الأمان و أنها المؤمنة دون غيرها، انهار عليها جدار "منهتان" و "بنتغون" و "الأبيض"، و أصبح الغرب خائفا يترقب!.

حَتْمِيَّةُ الْفَجْرِ الْـمُرْتَقَبِ:

وفي الوجه الآخر صورة ضبابية اختفت من شدة الظهور؛ فهي البقية الباقية، و السر الأعظم، و الرحيق المختوم.

وفي بدء الخليقة دارت الحياة في البحث عن الْمُطَلْسَمِ؛ فكانت مأساة التاريخ.

وفي حقبة من الزمن اعتقد الجن في المادة؛ فعبدوا النار، و اعتبروها غاية، فأهملت الروح و المعنى على حساب الأجرام و الأجسام، فَمُلِئَتِ الأرض جورا و ظلما؛ فعم الفساد، و سفكت الدماء.

وفي الطرف الآخر كان التسبيح و التقديس، فلجأ إليه الجن مضطرين؛ فكانوا في صف الملائكة المقربين، فأراد الله ما أراد، فكان المنتظر، و تم الاختيار من حيث لم يحتسب.

فالطينة الهائمة هي التي تحظى بنفخ الروح، وبشرف السيادة، فبدأ الصراع بين الحق و الباطل، والخير و الشر، و قامت الحجة بالعلم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (سورة البقرة: 31).

فكان الإعلان عن حياة ضنكٍ على ظهر الأرض، ومسرحا حلوا ومرا في آن واحد؛ فجاء دور الرسل و الأنبياء و الأولياء، و سار على الدرب رجال عظام مِنهم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِر وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلا.

هذا التاريخ بمراتبه الثلاثة: الرسالة و النبوة و الولاية؛ تجتمع مرة، و تفترق أخرى: فكل رسول نبي و ولي، و كل نبي ولي، و كل ولي ولي؛ فيبقى المدد والفيض، فيستقر الانسان في أسمى الرتب، و أعلى المقامات لكونه عبد الله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾. (سورة الإسراء: 1).

ففي المقابل نجد التاريخ الجدلي الذي لا يستقرُّ على حال؛ لأن من المحال دوام الحال: ارتفاعا وهبوطا: نعمة تتحول إلي نقمة؛ و أزمات في كل الأصعدة، بدءا بالغذاء، و وصولا إلي المصاريف؛ مرورا بالاقتصاد، و السياسة، فأين المفر ؟

وتتضح الأمور كلما اقتربت الساعة؛ فيتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

فالمادة العارضة الزائلة لا تصلح أن تكون غاية، و المخلوق لن يكون خالقا؛ فأنصار التهويل مخطئون؛ مهما كبرت و تطورت أبواقهم، و تعددت مدارسهم الدعائية التي انطلقت من اخْتِبَاراتٍ على الحيوان؛ فجاءت أطروحة «بافلوف»، واحتل الخطاب، و الرسمُ الساحةَ: وَ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا.

إلا أن التكرار يفقد السحر مفعوله، فتعود الأمور إلى طبيعتها، وتتجدد الحاجة والطلب إلى روح تسري في الجسد الهامد، و إلي حياة يستقر فيها الإنسان؛ فتصبح لحظة الانتظار حادة و ماسة؛ فالكل يتطلَّعُ إلي إعلام يحمل في طياته رسالة هادفة؛ في كل رقعة، وكل مدينة وَحَيٍّ؛ فالشوق إلي بديل يحيي القلوب، و يرفع المعاني= قاسم مشترك.

و لهذا وجدنا الشعوذة، و الأوهام، و الدعاوى البهتانية، والتفنن في الطقوس والكهنوتية، تنتشر؛ مُنْبِئَةً بحيرة في البحث عن الْقِيَمِ. و كأن الدين جزء من المتاحف العريقة؛ فيأتي التقديس لتراث القدامى؛ مصداقا للآية الكريمة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة الزخرف: 23).

التِّجَانِيَّةُ تُتَوِّجُ الْعَوْلَمَةَ:

كانت العلوم في وقت من الأوقات حبرا على ورق، فاكْتَظَّتْ حواضر الشرق، و اهتزَّت بغداد، و انتشرت المحافل العلمية. وكان التفنن في العلوم والفنون طريق الشهرة و الغناء؛ فتسابق قوم إلي تلك الظاهرة التي ملأت الآفاق؛ فخرج رجل يشار إليه بالبنان لعلمه الوافر، و فنيته الواعية؛ أبو حامد الغزالي؛ فاعتكف عقدا من الزمن ليخرج بعناية ربانية، وبمعية قدسية؛ تحفته: «إحياء علوم الدين».

فصرخة الإمام الغزالي ملأت الآذان، وأيقظت النيام، و كانت صحوة بعد سبات، فسبق بها الغرب الذي اقتبس منه الشك المنهجي، و انتحل من الحلاج "الأنا" الدالة على الذات و على المسؤولية؛ فكانت الركيزة التي انطلق منها "ديكارت" و "الكارتيزيانية" لتعلن عالما يحذى حذوه في العقلانية، و الموضوعية؛ فتلك بضاعتنا: بصماتها تدل علينا، فتاريخنا الإسلامي في الغرب شاهد على رجال التصوف الذين وقفوا برجليهم الاثنتين؛ جامعين بين العقل و الايمان، تاركين آثارا قيمة مما ينفع الناس، فجابر بن حيان، وابن سينا، و عدد كبير قطعوا البرهان على حيوية و جدية القوم ومنهلهم العريق: حياء، و حياة، إكسير يحول الحديد ذهبا و الحجر جوهرا.

و جاءت رسالة التجانية تَتْوِيجًا للمنهج الصوفي، فأصبح العسير يسيرا، والنادر متوفرا؛ فانفلق الصبح، و انكسرت الأقفال في الفاتح الخاتم: طريقة الناصر الهادي؛ فربى رجالا بلا خلوة، و ارتفعت الهمة فاجتمع الفناء مع البقاء؛ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا.

ففيضة أبي العباس أحيت القلوب، و أرقت النفوس فهي: كَلِمَةً طَيِّبَةً وشَجَرَةٍ مباركة أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ.

إذا كان الوعاء قد اكتمل، و الأرض قد هيئت، و الأمثال و العبر قد عمت الأرجاء، فالمنتظر هي الجوهرة التي من أجلها أعد الوعاء، وهُيِّئت الارض و ضربت الامثال؛ فالعلة تدور مع المعلول وجودا و عدما.

فالتطور التكنولوي الذي حَوَّلَ العالم إلى قبضة يد ليس وليد صدفة، ولا غاية في ذاته؛ إنما هو حاجة في نفس يعقوب.

وفي هذ الأطار يقول الوالد الحاج محمد نياس خليفة الكولخي السنغالي عن صلاة الفاتح لما أغلق، في كتابه هذا؛ «الجيوش الطلع بالمرهفات القطع»:

إِذْ كُلُّ حُكْمٍ قَدْ أُنِيطَ بِسَبَبٍ تَأَخَّرَ الْحُكْمُ لِذَلِكَ السَّبَبِ

عودة إلي ذي بدء:

فالرُّوَّادُ الأوائل من رجال الذوق، والوجدان الذين جمعوا بين الحقيقة والشريعة و بين العلم، و الإيمان؛ كانوا قد حولوا الأندلس إلي جنات تجري من تحتها الأنهار: بقطوفها الدانية، ورجال على الأرائك ينظرون، فكانت العلوم و الفنون مسرحا يهيم فيه المجاذيب فأرسلوا النفس على سجيتها؛ ثم دارت الأيام دورتها، وشاءت المقادير مآربها.

فتراجعت أنفس قوم؛ فتحجرت بعد أن لانت و تغنت حولها الطبيعة، فصار الشاذ عندهم هو القاعدة و الفرع هو الاصل، فانقلبت الامور رأسا على عقب، فالحديث عن المحرمات أصبح سائدا و جاءت العصا الغليظة؛ لتمتد على كل الرؤوس، ففقد التسامح و الاحترام، فضاقت الأرض بما رحبت.

إلى أن جاء يوم الجلاء؛ فقامت الساعة، و زلزلت الأرض زلزالها، و كان الغرب غداتها على موعد مع سماء الإسلام والإيمان التي هبطت فجأة؛ فعمت الحسرة، و بقيت الأطلال، و كانت الثكلاء كالنائحة. فبقي ذكر الحمراء و أخواتها مع أخوات كان.

عاد الدين؛ وعاد الإسلام غريبا كما بدأ، و عادت الصحراء الوعاء الوحيد الذي يليق بالإسلام، فصارت هذه الحضارة الراقية نائمة تحت الرمال؛ تنتظر يومها وساعتها الموعودة، فأصبح العائد إلى أهله؛ غريبا بين ذويه؛ فكثر الجدل و النقاش عن النفاس، والمسلمات، وثقافة البدو تملأ الآفاق، فالبعض يطنب في أن السماء فوقنا؛ و الآخر في أن الأرض تحتنا، فأصبح الشرك و البدعة هي العملة المتداولة؛ و كأني بأبي الحسن الندوي و هو يقول: (يَا عُبَّادَ الْقُصُورِ: رِفْقًا بِعُبَّادِ الْقُبُورِ)؛ نكتة كان لها أن توقظ من هو في سبات عميق؛ لكن لا حياة في من تنادي.

وجرى في إيران قصة عجيبة مع شيخ تجاوز ثمانين حولا؛ فجاد بفيضة بن العربي الحاتمي، و كانت صفحات أخرى في أرض الأولياء و الأنبياء، العراق؛ أرض ما بين النهرين الذي تحولت إلي ما بين النارين، و بقيت "كاظمة" كاظمة للغيظ؛ اسما لمسمى؛ إلا أن الناقور إسرائيل في أرض تحتلها؛ أُبِيحَتْ بمرسوم قانون أممي، والصُّورُ لا يزال معلقا لم ينفخ فيه، و السُّبحة بين الأصبع تُدَاعَبُ؛ لعلها يوما تروي قصتها الظريفة.

فالنفس بمراتبها الثلاثة، و مراحلها السبعة لا يوقظها إلا من عاناها: فاللوامة، و الأمارة بالسوء، و المطمئنة، قد اختلطت في سلك قيدها؛ والدنيئة والزكية، و الراضية، و المرضية، أحالها الغبار إلي أخبار؛ فدارت البحوث عن فك اللغز، و رفع النقاب، و كشف الغمة، وسُئِلَ عن السفينة، و الغلام، والجدار، والكنز الذي تحته.

إلا أن الحوتة قد نسيت عند مجمع البحرين: العذب الفرات، والملح الأجاج؛ هناك البرزخ المكتوم، و الخاتم الأعلى.

فإحياء الدين مهمة تنتظر النفس المطمئنة ، فهل من مدكر؟

فإذا كان الوعاء هو العولمة؛ فإن المحتوى هو النفس الراضية، فالشكل في حاجة إلى مضمون، و السِّرُّ يسري بالإجابة، ثم إن الوسيلة إن سُخِّرتْ من أجل الغاية= كان العرض و الطلب وجهين لعملة واحدة.

إن العالم اليوم بمثابة كعبة لم يبق منها سوى لبنة واحدة لتكتمل، فيتم الصفاء، و تعم المروءة، و يقترب المنى، و تعم المعرفة، و الافاضة.

تلك هي رسالة أبي العباس أحمد ابن محمد التجاني الحائطة بمركز الفهوم والمعاني؛ فالعولمة في حاجة إليها؛ حتى تَدُبَّ فيها الروح؛ و يكون لها طعمًا؛ فتخرج من الهرم المقلوب؛ ومن جعل الحبة قبة، و اعتبار القطار المتأخر، و الشخص الذي يعض الكلب حدثًا، ونبأً عظيما؛ فتنتهي المغالاة، و الغلو؛ فتُؤْخذ الأمور بقدر؛ و تدفع بقدرة.

وعودة إلي حيث تشرق الشمس أقول مع الوالد الخليفة الحاج محمد في كتابه « الكبريت الأحمر في مَدَائِحِ القطب الأكبر»:

قَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ السَمَا وَقْتَ الضُّحَى ... فَتَنَـــوَّرَتْ آفَاقُهَـــا بِضِيَـــاءِ

وَجَلَـت دُجَى لَيْـلٍ بَهِـيمٍ دُجُنَّـةً ... فَتَرَاكمَـتْ أَنْوَارُهَـا بِبَهَـاء

حَـتَّى رَأى كُلُّ الْـوَرَى أَنْوَارَهَـا ... تَجلُـو عَـنِ الْأَبْصَـار كُل غِطـاء

فَغَـدا يَهِـيُم بِحُسْـنِها مَـنْ لَـمْ يَهِـمْ ... وسَـلاَ المحـبُّ معَاهِـد الحَـوْراءِ

إلى أن قال :

عَمَّـتْ جَمِيـعَ الْخَلْـقِ فَـهْي لِهَـدْيها ... وَلِنُورِهَا كَالشَّـمْسِ فِي الْأَضْـوَاءِ

وَبِعَـينِ مَـاضٍ كَانَ بَـدْءُ شُرُوقهَـا ... وَبِفَاسَ قَدْ سَطَعَتْ عَلَى الأَرْجَاء

يَاقُوتَـةٌ مَـا مِثْلُهَـا مِـنْ جَـوْهَرٍ ... بَرَزَتْ بِحَضْـرَةِ مَالـكِ النَّعْمَـاءِ

إلى أن قال أيضا :

شَـيْخِ المَشَـائِخِ أَحْمَـد بـنْ مُحَمَّـدٍ فَأُولَئِـكَ الأَشْرَافُ هُـمْ آبَـائِي
حَـازَ الْكَمَـالَ مِـنَ النَّـبِيِّ وِرَاثَـةً عَـينُ الْكَمَـالِ وَمنبـعُ الْعَلْيَـاءِ
قَـوْمٌ كِـرَامٌ لاَ يَخِيـبُ جَلِيسُـهُمْ نَـالُوا الْعُـلَى مِـنْ واهِـبِ الآلاَءِ
ولَهُ الْكَمَـالُ وِرَاثَـةً مِـنْ جَـدِّهِ عَـيْنُ الْكَمَـالِ وَمَرْكَـزُ الأَضْـوَاءِ
شَـيْخُ المَشَـائِخِ كَامِـلٌ مِـنْ كَامِـلٍ مَـنْ حَـلَّ فَـوْق النِّسـرِ وَالْعـوَّاءِ
وَأَقَامَـهُ رَب الْخَقَـائِقِ بَرْزخًـا فَيَضَـانُهُ يَجْـرِي عَلَى الكُـبَرَاءِ

اللهم عجل فرج الغوث الممد؛ و المتصرف في الأكوان أجمعها، وصل اللهم على سيدنا محمد الفاتح، الخاتم و على آله حق قدره و مقداره العظيم، صلاة تفتح بها أبواب الرضى و التيسير، و تغلق بها عنا أبواب الشر و التعسير، و تكون لنا بها وليا و نصيرا.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون
و ســـــلام على المرسلين
و الحمد لله رب
العالمين

تَرْجَمَةُ الْمُؤَلِّفِ[5]

بِقَلَمِ مُحَمَّدٍ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِيِّ الْعَلَوِيِّ التِّجَانِيِّ الْمَالِكِيِّ (مُحَمَّدْلُدَّاهْ)

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

❄ ❄ ❄

الحمد لله الذي بذكره أشرقت قلوب العارفين وامتلأت من فيض فضله أودية الغارفين وأثمرت في بواطنهم شجرات اليقين فأغضوا عن بهجة مخبآت الرقين فاعرقوا في المعارف وانجدوا واستنسروا واستصقروا واستمجدوا.

فراضوا النفوس وهذبوها وفضضوها وذهبوها ، فعمروا أوقاتهم بالطاعة ولم يكتفوا من أنفسهم بقدر الاستطاعة. وصلى الله على سيدنا محمد النبي المصطفى

5. هذه الترجمة تكاد تكون متطابقة مع ترجمة المؤلف المُصَدَّرِ بِهَا دِيوَان الْمُؤَلِّف الْمَوْسُومِ بِـ« الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ فِي مَدَائِحِ الْقُطْبِ الْأَكْبَرِ» والذي قام المترجِمُ بشرحه؛ والتقديم لناظمه، والتعريف بشخصيته، نسبه وأعماله، وآثاره العلمية؛ ناقلا مادته عن أحمد بن محمد الحنفي في شرحه لمرآة الصفا؛ الموسوم بـ«الاكتفاء». (أحمد دهاه).

أفضل من للخير قطفا، من فاق في خلقه وخلقه إذ فضله سبحانه على جميع خلقه، وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد : فهذه أنقال واضحة المعنى صحيحة المبنى تهدي المبتدي للمنتهي وتذكر العالم المنتهى، على تأليف فحول العلماء ونجم مصاقع الشعراء ومربي المربين من ساداتنا الصوفيين، ألا وهو أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الحاج عبد الله نياس الكولخى وطنًا الجلفى منشأ.

ولد أبوعبد الله طائعا قرب رأس القرن الرابع عشر، ونشأ في صيانة وعفافة وديانة في حجر والده البر؛ يدرس الليل والنهار حتى نبغ في جميع الفنون المقروءة بهذا القطر .

ثم أخذ يتربى على والده ، حتى بلغ مبلغ الرجال فتاقت نفسه للحج وزيارة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فتوجه نحو بيت الله الحرام عام 1328هـ ورافقه والده حتى وصلا إلى فاس بالمغرب الأقصى؛ فبقي والده عند زاوية الشيخ التجاني رضى الله عنه، فقصد الحج وزيارة البقاع المقدسة، ثم رجع إلى والده حيث تركه في فاس بعد أدائه فريضة الحج؛ فعادا إلى سنكال، وكان خليفة والده العلامة.

ثم رجع لزيارة فاس بعد وفاة والده عام 1342هـ فأجازه حفيدا الشيخ التجاني رضى الله عنه، وهما: السيد محمود بن السيد محمد البشير ابن السيد محمد الحبيب ابن القطب المكتوم والبرزخ المختوم سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه، وأخوه سيدنا محمد الكبير: أما الأول- فقد لقيه في الدار البيضاء؛ و الثاني فقد راسله ، وكلاهما أطلق له الإجازة إطلاقا عاما دائما.

– وله ديوان في مدح شيخنا رضي الله عنه [6]، وقد أشار فيه إلى كثير من الفنون : كاللغة والنحو والتصريف والتجويد والرسم والتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، وكعلم الحديث، ومصطلحه، ومتونه،

6. لعله يعني ديوان الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر

وأسانيده، والفقه وأصوله، والمنطق وقضاياه، وأشكاله، والبيان، والبديع، والمعاني ، والطب، والأخلاط، والطبايع ، والمساحة، والحسابين: العددي، والزمني، والآفاق، والحكمة، والمقولات العشر، والهندسة ، وعلم العروض، وحقيقة السيمياء، والكيمياء، وعلم الكلام، وعلم التصوف، وتصفية النفس بالمجاهدات، وعلم الرياضات.

وكل ذلك بحمد الله بيته في شرحي لديوانه في مدح الشيخ التجاني رضي الله عنه [7]، مع أنى قصير الباع وبضاعتي مزجاة في جميع ما ذكرت ، ثم ان أكثر ما بينت إنما أبينه من صدري من غير مطالعة كتاب إلا بعض كتب اللغة في غير الشواهد فكل ما استشهدت به فإنما هو من حفظي ، وربما أخالف بعض الروايات المشهورة مع صحة روايتي ، فلينتبه الناظر لئلا يبادر بإنكار مالم يحط به علما ؛ فإني لا أستند من لدن نفسي ولا آخذ من كتاب لا أعرف مصنفه . ولا ينكر هذا إلا من لم يتضلع من العلم الظاهر والباطن ، وأما القاصرون فر بما بادروا بالإنكار لقصر باعهم وسقم فهمهم، قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم[8]

فمثله أجدر أن يقال فيه :

أخلت ابن رشد كالذين عهدتهم ومن دونه تلقى الهزير المدافعا

أما المؤلف لهذا الكتاب الثمين الذي نحن بصدد تقديمه، فحدث ولاحرج؛ ومن أغرب ما حدثني به هذا العالم من توقد ذهنه أنه زمن تعلمه القرآن، كثيرا ما يقف في قراءته عند آية ثم يتدبر فيقول : ينبغي أن يليها كذا فإ ذا بالأمر كما توقع!

وقال لنا: إنه لا يدري متى أجاد العربية، فإنه ما عقل إلا وهو ينطقها ! وكان متواضعًا يفترش الأرض ولا يحتجب؛ بخلاف غيره من مشايخ بلاده .

7. ويعني ديوان الكبريت المذكور، فهو - جزاه الله خيرا - شارحه

8. البيت لأبي الطيب المتنبي.

وكان والده كثيرا ما يقول له:

(استدركت ما فاتني من مدح نبينا صلى الله عليه وآله وسلم).

وأريد أن أضيف الى هذه المقدمة ترجمة ابن عمنا العالم الفاضل أحمد بن محمد مختار بن محمد الحنفى ، المعروف بأحمد بن داهاه ؛ فإنه بسط نسب المؤلف في ترجمة وافرة ، ثبت فيها أنه من أصول عربية و من بيت الملك.

ومن أردا المزيد ، فليراجع المصدر المذكور[9].

و ذكر فيها؛ مما هو معلوم ومتواتر؛ أنه نشأ بمحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان في صغره لا يتجرأ أحد أن يقول له إن اسم أمه ليس آمنة إلا ناله منه سوء؛ و كان يقول: لا تقدر امرأة أن تكون أمي غير آمنة؛ مشيرا إلى موافقة اسمه لاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واسم أبيه لأسم أبيه واسم أمه كذالك !

ويذكر ابن عمي المذكور، عن الثقات أنه لما كان سابع ولادته رأى والده النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال له : قد سميت ابني هذا باسمك.

فقال : ناولنيه؟

فناوله إياه؛ فأخذه، وضمه إليه حتى مكث ساعة، ثم رده إلى أمه ! ولعل هذا الحب ناله من بركة ذلك الأخذ.

و كان والده يتوسم فيه الخلافة، مع ما انضم إلى ذلك من المكاشفة الصحيحة، وفراسة الوالد.

وأما تخليفه إياه فأوضح من الشمس .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[10]

وفي المثل: ما يوم حليمة بسر.

---

9. المصدر المذكور: مقدمة الشارح لكتاب مرآة الصفا

10. البيت لأبي الطيب المتنبي.

وقد صرح والده بذلك مرات عديدة ، وظهرت مخايله عليه ولا ينكره إلا عدو مماحل أو حسود جاهل.

وكان والده يحيل اليه من أتاه يطلب الورد ليلقنه؛ وقد قال الناس في المشرق والمغرب بعد وفاة أبيه : لم يفقد من الشيخ إلا ذاته الترابية. فازدحم الناس ببابه. وكانواعلى قسمين: قسم لزيارة التعلق، والاستمداد، وقسم للعطاء، والارتياد.

أما القسم الأول ، فقد لا حت عليه بركاته بارتباطهم بطريقة الشيخ وثباتهم عليها وتمسكهم بها .

وأما الثاني: فكم وردوا إليه خفافا؛ وعادوا ثقالا .

وكما في نفس المصدر: إن مما هو معلوم لدى القاصي والداني أنه كان يدرس جميع الفنون؛ كالفقه، والنحو، والتفسير، وكان انفرد بعلم السيرة النبوية؛ فهو فارس ميدانها، وله تآليف جمة، منها :

1. طريق الجنان في مدح سيد بني عدنان .
2. نيل المرام في مدح خير الانام
3. المواهب الإلهية في الغزوات النبوية .
4. ديوان آخر لم اعرف اسمه [1]
5. نظم وصايا الشيخ رضى الله عنه .
6. نصيحة الإخوان عن دعوى الولاية بالبهتان ..
7. مفتاح الفتح للوصول إلى حضرة شيخنا ابن الرسول .
8. مرآة الصفا في سيرة البنى المصطفى.
9. ذخيرة العطايا في الوفود والسرايا.
10. مسامرة الفكر في زيارة القطب الاكبر .

1. لعله يعني ديوان خاتمة الدرر في مدح سيد البشر.

11. النفحة العنبرية بالفيوضيات الربانية .
12. شفاء الصدر فيمن حضر وقعة بدر.
13. فوز السعداء في التوسل بالشهداء؛ ذكر فيه من استشهد في حياته صلى الله عليه وآله وسلم.
14. المرهفات القطع: وهو رده هذا على ابن ما يأبى الجكنى سماه.
15. بلوغ السول في مدح الرسول، وهي لامية بسيطة في السيرة.
16. لامية آخرى ضمنها بانت سعاد.
17. ذخيرة المعاد في مدح خير العباد.
18. الفيض الربانى في التوسل بأسماء النبى العدناني صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن تصفح دواوينه التى مدح بها رسول الله تبين له في كل قصيدة أنه قالها عن وارد محبة، وأنه من عنصر عربي.

كما جاء عن بعض أدباء العصر:

أبناء أنياس قد دلت شمائلهم بأن عنصرهم ينمى إلى العرب

انْتَهَتْ تَرْجَمَةُ الْمُؤَلِّفِ

الْجُيُوشُ الطُّلَّعُ
بِالْمُرْهَفَاتِ الْقُطَّعِ
إِلَى ابْنِ مَايَابَى أَخِي التَّنَطُّعِ

نَظْمُ وَشَرْحُ

الْخَلِيفَةِ الْحَاجِ مُحَمَّدٍ انْيَاسْ
ابْنِ السَّيِّدِ الْحَاجِّ عَبْدِ اللهِ انْيَاسْ
التِّجَانِيِّ الْكَوْلَخِيِّ السِّنِغَالِيِّ

(فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ مَا يَا بَى)

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم؛ عدد ما علم، وملء ما علم.

❄ ❄ ❄

أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير، الخليفة الحاج محمد ابن الحاج عبد الله تولى أموره مولاه:

الحمد لله الواحد الأحد الممد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد.

خلق فسوى وقدر فهدى وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى، نحمده تعالى لما هدانا إلى سبيل الهدى، ونور بصائرنا بشعلة الايمان بعد ظلمة الجهل والعمى، وأكرمنا باتباع سيد المرسلين، واتباع خلفائه ألاكرمين الراشدين ونحن بهم مؤمنون ومصدقون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبعد : فلما كانت حكمته تعالى في خلقه ألا يقوم قائم بأمره تعالى نبي مرسل أو سالك لسبيل الحق ممتثل إلا قيض الله تعالى له عدوا مماحلا أو حسودا جاهلا؛ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

فجاءت طريقة شيخنا التجاني رضي الله عنه المؤسسة بالدين المحمدي والهدي الاحمدي؛ لا تعدل عن السنة الغراء قيد أظفر؛ فجماعاتها حلق الأذكار، وكلام أهلها الصلاة على النبي المختار، والإغراق في الاستغفار. وقد ورد الحض

على هذا كله في كتاب الله وسنة نبيه عليه صلاته وسلامه ، كما في التنزيل المبين: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾. (سورة ءال عمران: 41).

وفي السنة الطاهرة في الصحيحين : « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ».

إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة ـ فقيض الله لها شيطانا مريدا ينتقد على أهلها انتقاد جاهل حسود فيضع الحديث في غير محله وينكر على من لم يعدل وابله قطرة من طله .

وكنت قد نظمت في الرد عليه نظما حفيلا مشتملا على رد كتابه جملا وتفصيلا وسميته بـ «**المرهفات القطع إلى ابن ما يأبى**[11] **أخي التنطع**»؛ وهو نظم سهل اللفظ، صافي المشرب؛ وكان يتردد في خاطري شرحه، وتعوقني كثرة الأشغال، والاتكال على أنه واف بالمراد؛ حاسم لمادة الإنكار وللعناد؛ حتى ورد عليَّ أمرُ مَنْ لا يسعني مخالفته، ولم يمكني إلا مساعفته بشرحه شرحا وافيا بالمراد مع الاختصار[12]؛ فوجدني على غير استعداد، ولم يمكني إلا المبادرة اليه بما أراد، فجاء بحمد الله شرحا لطيفا، واضح المعاني للمتأمل، فليس بالطويل المملِّ ولا بالقصير المخل. و سميته بـ «**الجيوش الطلع بالمرهفات القطع**». وهذا أوان الشروع ، والله تعالى ولي التوفيق وهو المستعان وعليه أتوكل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

11. هو الخضر محمد الخضر بن سيد عبد الله بن مايابَى الجكني الشنقيطي. [1934 – 1868م]؛ ألف عن الشيخ التجاني كتاب «مُشْتَهَى الْخَارِفِ الْجَانِي فِي رَدِّ زَلَقَاتِ التِّجَانِيِّ الْجَانِي»؛ وهو محل هذا الرد!

12. لا شك أن الآمر بالشرح ممن له هذه المكانة؛ لا يمكن أن يكون سوى صديقه الحميم؛ السيد أحمد سكيرج الفاسي؛ وينضاف إلى هذا دافع أشد قوة؛ يتمثل في رؤيا تلقى فيها إذنا من الشيخ التجاني بشرح الكتاب، وهو لا زال مكنونا.

قائد الجيوش يساجل بصارم البيان:

قَالَ الْعُبَيْدُ الْكَوْلَخِيُّ مُحَمَّدُ ❊ سَلِيلُ عَبْدِ اللهِ؛ وَهُوَ يَحْمَدُ

مَنْ خَصَّهُ بِوَاضِحِ الْبَيَانِ ❊ مِنْ بَيْنِ كُلِّ الْبِيضِ وَالسُّودَانِ؛

قولي: (الْكَوْلَخِيُّ): نسبة إلى كولخ ، وهي قرية عظيمة من قرى السِّنِغَالْ[13] بكاف معقودة. وهو اسم البلاد ويقع في إفريقية الغربية، وفيها مدفن والدي رضي الله عنه. وله فيها مشهد عظيم؛ مُجَرَّبٌ لِقَضَاءِ الْحَوَائِجِ؛ يقصد للزيارة والتبرك؛ يؤتى من جميع الأقطار والنواحي من أقاصي البلاد والأراضي. وما قصده أحد لحاجة إلا ظفر بها؛ وكولخ جزء من إقليم سالم[14] .

ولم تكن كولخ هي بلدي أصلا، ولكن سكناها من نحو عشرين سنة؛ لأننا نزلنا بها سنة 1329هجرية وزمن التأليف 1348 هجرية.

وانتسبتُ إليها كما هي عادة المنتسبين إلى القرى والبلدان؛ كالعراقيين والحجازيين والبغداديين مثلا؛ فإنهم لا يعتبرون إلا آخر زمن السكنى كما هو مشتهر؛ وان كان الاصل والميلاد في غير ذلك المحل، لأن المدنيين مثلا من المهاجرين أصلهم وميلادهم بمكة، أو غيرها من البلدان. فلما استوطنوها= نسبوا إليها. وفي «الفتوحات الوهبية شرح الأربعين النووية»: "استَدَلَّ ابن المبارك بِقَوْلِ من قال: إن من أقام ببلدة أربع سنين نسب إليها".

الواو في: (وَهُوَ يَحْمَدُ) للحال؛ لأن الإنسان إذا من الله تعالى عليه بنعمة وجب عليه حمده؛ لا سيما منة البيان على من كان أبناء جنسه عجما؛ فالبيان مما يفتخر به العرب بعضهم على بعض قال الشاعر:

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ لِمَنْ نَرَاهُ لَهُ جِسْمٌ يَكُونُ وَ ذَا بَيَانِ

13. استخدام لفظ (قرية) لذكر "كَوْلَخْ" (مع أنها مدينة عظيمة تعد ثانية مدن السنكال) لا شك أنه سير على منوال الإطلاق القرآني اللغوي: إذ أطلق على مكة أم القرى.

14. أما السِّنِغَالْ فهي حاليا جمهورية وكانت وقت كتابة الرد جزءا من مستعمرات فرنسا في غرب أفريقيا، و"سَالُمْ" هو اسم الإقليم الذي حاضرته" كولخ" المذكورة.

كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعْطَى بَيَانًا وَجِسْمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ[15]

وأيضا ، فإن الله عز وجل قد امتنَّ به على الإنسان فقال عز وجل :﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾. (سورة الرحمن: 4).

أعني أن قولي: إني خصصت بالبيان؛ ليس من قبيل الافتخار والإعجاب؛ وإنما تحدثا بنعمة الله تعالى علي . والتحدث بالنعم شكر لها كما ورد.

تَحَدُّثًـا بِنِعْمَـــةِ الْوَهَّـــابِ ❊ بِرَغْمِ أَنْفِ الْمُنْكِرِ الْمُرْتَابِ؛

مُصَلِّيًـا عَلَى الرَّسُولِ الْعَرَبِيِّ ❊ وَآلِـهِ أُولِـي الْعُلَـى وَالـرُّتَبِ

والرغم: الكره، والرغام التراب. رغم الله أنفه: أي على كرهه، أذله أو ألصقه بالتراب، والمنكر لا يقال إلا لمن ينكر الحق؛ لأن من أنكر الباطل فهو مصيب، وكاد الاصطلاح العامي أن يجعلها خاصة لمن ينكر على الأولياء؛ لأنه لا يخلو من انكار الحق؛ فلا يسوغ الأنكار إلا لمن جمع كل العلوم، كما سيتضح في الشرح إن شاء الله تعالى ؛ قال صاحب الرائية[16] رضي الله تعالى عنه:

ومن يعترض والعلم عنه بمعزل يرى النقص في عين الكمال ولا يدري

والريب: الشك و يأتى للشك في الحق ، كما هو الغالب في القرآن الكريم.

والحال، أني مصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لما ورد أن الصلاة عليه في ابتداء الكتابة مطلوبة وذكرت الآل، لأنجو من النهي الوارد في الصلاة البتراء والصحيح أنها التى لم يذكر فيها الآل.

وقال قوم ما: لا سلام فيها، وهم محتجون بالصلاة التى في الصحاح ؛ كما علمها رسول الله صلى الله عليه آله وسلم لمن قال له: «كيف نصلي عليك إلى آخر الحديث».

---

15. وقد ورد البيتان خلاف هذه الرواية منسوبا إلى حسان بن ثابت:

وقَدْ كُنَّا نَقُولُ، إِذَا رَأَيْنَـا لِذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي بَيَـانِ

كَأَنَّكَ، أَيُّهَا الْمُعْطَى بَياناً وَجِسْمَاً، مِـنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ

16. يعني رائية الإمام الشريشي في آداب السلوك، وآداب المعاملة بين الشيخ والمريد.

دواعي ودعائم الرد:

مَنْ كانَ حُبُّهُمْ أَسَاسَ الـدِّينِ ❊ وَبُغْضُـهُمْ كُفْرٌ بِغَـيْرِ مَـيْنِ
هَذَا، وَلَمَّا انْتَدَبَ الْأَشْقَـى إِلَى ❊ سَبِّ إِمَامِ الْأَوْلِيـَاءِ الْفُضَلَا

ولا شك أن حُبَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم أساس في الإسلام كما في الكتاب العزيز في غير آيةٍ كقوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ (سورة الشورى: 23). ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (سورة الفتح: 9)؛ إذْ لا توقير له عليه الصلاة والسلام إلا بتوقير آله الكرام وفي الحديث: «فَمَنْ أَحَبَّهُمْ= فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ» إلى غير ذلك مما تضيق عنه هذه العجالة. وفى هذا إيماء إلى أن من سب الشيخ التجانى رضي الله عنه، وهو صحيح النسب إلى رسول الله عليه وآله وسلم، نقلا ومشافهة يخرج من الملة الحنيفة إن لم يتداركه الله تعالى بتوبة .

وَالْأَشْقَى: أفعل تفضيل من الشقاء، ولا تعارض بين هذا وبين ما في حديثه عليه الصلاة والسلام في خبر علي كرم الله وجهه« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشْقَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» إلخ...

قال الشيخ اليدالي[17] في «الذهب الإبريز في شرح كتاب الله العزيز»: "يؤخذ من قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ... ﴾ (سورة الأنعام: 112)".

"إن سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه ان يسلط الخلق عليهم ... إلى أن قال : فلكل نبي وصديق عدو؛ فالرجل مبتلى على حسب دينه فقد كان لآدم : إبليس ، ولداود جالوت ، ولسليمان الشياطين ، ولابراهيم نمروذ، ولموسى

17. اليدالي: هو محمد بن المختار بن محمد سعيد؛ المتوفي (1166هـ= 1753 م). صاحب التفسير المذكور، ومؤلفات في التاريخ منها: شيم الزوايا، وأمر الوالي ناصر الدين.

فرعون ، ولعيسى بختنصر والدجال واليهود ، ولسيدنا محمد عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام أبو جهل وغيره".

"وقال سيدنا علي الخواص : لو أن كمال الدعوة إلى الله موقوف على إطباق الخلق على تصديقهم ،كان الأولى بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والأنبياء قبله ؛ وقد كان للأصفياء والأولياء بعد الانبياء أعداء ، ومن عصر الصحابة إلى وقتنا هذا، يؤذونهم ويلصقونهم بسوء، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾. (سورة الفرقان: 20)..." إلى أن قال: "قال السيوطى: ومما أنعم الله به عليَّ أن كان عدوي من السفلة؛ إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف".

قُلْتُ: فتبين بهذا أن المنكر مَا لِنُكْرِهِ على الشيخ سبب إلا لكونه من الأطراف.

= جَـرَّدْتُ مِـنْ قَرِيحَتِي مُهَنَّدَا ❊ عَضْبًا لِأُسْقِيـهِ بِهِ كَـأْسَ الرَّدَى

عَـرَّضْـتُ نَفْـسِيَ إِلَى الطِّعَانِ ❊ وَالضَّرْبِ دُونَ شَيْخِنَا التِّجَانِيِّ

المهند: السيف، وهذا التجريد من المجاز، إلا أن استعارة الحجة البالغة بالسيف القاطع، استعارة بليغة، قالوا في المثل: "والكلم الأصيل كأرغب الكلم"[18].

ومن تأمل هذا النظم، ممن سلمه الله تعالى من الإنكار والحسد، علم يقينا أنه قاطع لجميع مفتريات هذا المنكر بالبرهان الواضح؛ وسأبين ذلك إن شاء الله تعالى في الشرح، فتأمله بإنصاف تجده محتاطا بجميع تزويرات واعتراضات المنكرين؛ حتى لا يبقى لك إشكال.

18. هذا عجز بيت لطرفة بن العبد جرى مثلا، وصدره: (بحسام سيفك أو لسانك).

وأعتذر لعزيزي القارئ لهذا الكتاب، من بعض قذعي في بعض الأحيان؛ وعدم مراعاة الرفق بالمنكر الذي تشبع بما لم يعط؛ حتى أوقعه الإعجاب والحسد في خسارة الدنيا والاخرة - والعياذبالله -؛ ثم إني قد نصبت نفسي دون عرض شيخنا التجاني رضي الله عنه ولا أبالي ما أصابني من الأذى دونه. قال الشاعر لله دره:

تعاظمنا أمر له تعقـــــــد الأزر ويعمل فيه الدهر جودته الفكـــــر
فهتك حريم الشيخ أعظم حادث وكسربدا في الدين ليس له جـــــبر
ويحسن صبر المرء في كل صدمـة وعند اهتضام الشيخ يستقبح الصبر

والطعان: إن كان حسيا فقد يكون معنويا، وهو المراد هنا؛ لأن الطعن يقال للقدح في الإنسان . ومن ذلك الحديث الصحيح: " «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»[19] .

فَقُلْتُ رَاجِيًا دَوَامَ الْمَـــدَدِ ❄ مِنْ فَيْضِ شَيْخِنَا التِّجَانِيِّ الْأَحْمَـدِ:
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّـذِي قَـدْ أَوْقَدَا ❄ نُورَ الْهُدَى فِي قَلبِ كُلِّ مَنْ هَـدَى
وَقَـادَ لِلْحَضْرَةِ كُـلَّ مُجْتَبَـى ❄ بِصُحْبَةِ الْقَـوْمِ الْكِـرَامِ النُّجَبَـا

فقلت: هنا جواب لما في البيت الماضى.

والمدد من الشيخ: هو أن يمدك من علومه اللدنية وأنواره السنية، و أنا مستمد من هذا وذاك بفضل الشيخ رضي الله عنه، سيما الحال الذي انا فيه من تيسر الحجة ببينة من القرآن والسنة؛ وقد لاقيت من ذلك كثيرا، فتأتي أجوبتي لدعاوى المكر الحاقد تلقائية؛ لاتفتقر للعودة لمقال أي من رجالات الطريقة التجانية، ولا بأحد من فحول الصوفية، إلا من كان منهم مشتهرا بالعلم عند العام والخاص كالشعراني، والشيخ عبد القادر الجيلاني ، والإمام الثعالبي، والبكري؛ فإن هؤلاء

19. رواه مسلم (67).

وأمثالهم ممن يحتج بهم أهل الظاهر لكثرة تآليفهم وانتشار علومهم، وما سوى ذلك من مصادري فالقرآن والحديث - القاسم المشترك - وما توفيقي الا بالله ثم بهمة الشيخ رضي الله عنه.

والحضرة: هنا أعني بها حضرة أهل الله عز وجل قال الناظم :

معنى دخول حضرة للرب حصول عرفان به في القلب

وقطعي أن صحبة أولياء الله هي سبب دخولها؛ لأنهم الدالون على الله تعالى بالحال والمقال.

واجتباه: اختاره. والمجتبى: المختار.

الإِنْسَانُ بَيْنَ قَائِدِ السَّعَادَةِ وَصَارِفِهَا عَنْهُ:

فَأَخلَصُوا الْقُلوبَ مِنْ أَغْيارِهَا ❊ وَهَذَّبُوا النُّفُوسَ مِنْ أَكْدَارِهَا

وَذَاكَ مِنْ كَرَامَةِ الرَّحْمَانِ ❊ لِلْأَوْلِيَاءِ الغُرِّ أَهْلِ الشَّأْنِ

لَهُمْ يَقُودُ قَائِدُ السَّعَادَهْ ❊ كُلَّ مُرِيدٍ فَوْزَهُ أَرَادَهْ

إِلَاهُهُ وَالصَّارِفُ الإِلَاهِي ❊ يَصْرِفُ كُلَّ مُنْكِرٍ وَلَاهِ

الأغيار: جمع غيرو هي من عبارات الصوفية ، يقولونها لما سوى الله عزوجل مما يشغل عنه ، من اهل وولد ومال ، لأن المحال عندهم الوصول الى الله تعالى من غير التجرد عن المألوف، وتفريغ القلب عنه ومحوالآثار الغيرية، ومن أنجح ترياق القلوب عند القوم ومحو رسوم الأغيار، صحبة الرجال الكُمَّلِ الدالين على الله تعالى حالا ومقالا؛ لأن الشيخ هو الوالد الحقيقى والمربي الروحاني، وهو أكثر منفعة من المربي البدني؛ لأ ن الأخير ربما هَوَّدَ المولود أَوْ نَصَّرَهُ كما في الصحيح: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ».[20]

أما المربي الروحي فهو السبب في الحياة الأبدية والاتصالات المددية؛ فتبين من ذالك أن القائد إلى الشيخ هو المخلص من الأغيار، والمهذب من الأكدار وهو قائد السعادة؛ وصارف الحكمة الإلاهية هو الذي يصرف عنهم من لم يرد الله به الوصول إلى حضرته، لأن من بعض عبارات القوم أنه لم يوصل اليهم إلا من أراد أن يوصله اليه.

لكن المصروفين عن صحبة الأولياء على قسمين:

20. صحيح البخاري: رقم 441.

قسم هم علماء الظاهر الذين تَقَيَّدوا برسوم عندهم من العلم الظاهر، ولم يتعدوها؛ فحجروا واسعا لظنهم أن المعرفة محصورة في الرسوم ، الا انهم بالرغم من ذالك يؤمنون بقوله تعالى: ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ (سورة النحل: 8)؛ فوقفوا عند ذالك الحد، تاركين للأولياء مقولاتهم فما أنكروا، ما لم يدركوا؛ ذاكرين قوله عز من قائل: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾. (سورة البقرة: 32).

هذا الصنف أهله مسلمين لله تعالى سعة العلم، مقرين بالعجز عن ادراك مالم يحيطوا به علما؛ وهم الناجون.

وأما الصنف الآخر من علماء الظاهر فهم قوم علموا شيئا وغابت عن هم أشياء، فداخلهم الشيطان لتحكيمهم النفس الأمارة بالسوء؛ ظنا أن كل من لم يوافقهم في اعتقادهم، وينقاد إليهم فهو هالك، مع أن علمهم قاصر، لم يبلغ من العلوم اللدنية إلا قدر ما وسع منقار الطائر من البحر، كما قال الخضر لموسى عليهما السلام :« مَا بَلَغَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنِ الْبَحْرِ».

فهم قوم من لم يوافقهم في ظنهم وزعمهم، كفروه واستباحوا عرضه؛ وهم بدون شك مقصرون؛ لأن الولي ربما شاهد الحق عند الحق، فلا يعدل عنه، وكان الأسلم أن يرى الإنسان نفسه بعين العجز فلا يخطيء مصيبا أو يكفر مؤمنا، ففي الحديث: «مَنْ قَالَ لِمُؤْمِنٍ: "يَا كَافِرُ" فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».[21]

وفي رواية مسلم : « أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: "يا كَافِرُ" فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ؛ وَإِلَّا حَارَتْ عَلَيْهِ».

قوله: (حَارَتْ عَلَيْهِ) أي: رجعت إليه حتما.

21. ورد بهذا اللفظ في البخاري: « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا ».

التَّمَسُّكُ بِعُرَى أَهْلِ الْوِلَايَةِ

فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَتَمَسَّكْ بِعُـــرَى ❄ أَهْلِ الْـوِلَايَةِ يَتِيـهُ فِي الْعَـــرَا
لِأَنَّ جُلَّ فَقَهَاءِ الــزَّمَـــــنِ ❄ تَقُـودُهَـا أَهْوَاؤُهَا بِالـرَّسَـــنِ
قَدْ أَمَّرَتْ نُفُوسَهَـــا الْأَمَّارَهْ ❄ فَقَادَهَا الشَّيْطَانُ فِيـــمَا اخْتَـارَهْ

فالإنسان معرض لضررين عظيمين هما: الشيطان، والنفس الامارة بالسوء.

ومن نحو هذا ما ذكره صاحب «المرشد المعين» رحمه الله تعالى بقوله:

يَصْحَبُ شَيْخًا عَارِفَ الْمَسَالِكِ ❄ يَقِيـــهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهَالِكَ

لأن دسائس النفس وخداعها لا تزول الا برياضة تامة على يد شيخ عارف سالك، فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق؛ فلو أن المغرور المعجب بنفسه، هذب بصحبة من يرشده ويقوده، لما أنزلق على دسائس نفسه لتجره الى حب الرياسة ، فيوافقها على ذالك ليعتبر نفسه في منزلة الآمر الناهي، فارضاه ذلك وهو لا يعلم انه حاد عن الطريق، ولو علم المنكر المتطاول لكان حسبه السكوت لأن الصمت منجاة، لكنه يتفوه بما تؤول اليه عاقبة السوء؛ وأدنى مافي ذلك أن ينتهي بصاحبه إلى خسران الدنيا وعذاب الاخرة، أعاذانا الله تعالى من الخسران.

ومن كلام شيخنا التجاني رضي الله عنه يخاطب بعض إخوانه : أكرموا العلماء لأنهم حملة الشريعة، ولا تخالطوهم لأن لهم نفوس غالبة عليهم.

وبين عرى: بالضم ، والعرا، بالفتح: جناس محرف.

مِنْ ذَاكَ أَنَّ بَعْضَ مَنْ قَدْ يَدَّعِي ❄ عِلْمًا وَحَادَ عَنْ سَبِيلِ الْمَهْيَعِ
وَمَا لَهُ فِي الْعُلَمَا عَلَامَهْ ❄ وَلَيْسَ مِنْهُمْ لَا وَلَا قُلَامَهْ

لأننا لو أفترضنا أن امرءا من اهل العلم لم يسانده العمل لكان أشبه بفاقد العلم؛ لأنه كما قيل:

الْعِلْمُ مَا أَكْسَبَ خَشْيَةَ الْعَلِيمِ وَمَنْ خَلَا مِنْهَا فَجَاهِلٌ مَلِيمٌ
لِأَنَّهُ مِيرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يَنَلْهُ غَيْرُ الْأَتْقِيَاءِ[22]

القلامة: ما يقطع من الظفر عند القص.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (سورة فاطر: 28).

قَدْ قَادَهُ الْحَسَدُ وَالْجَهَالَهْ ❄ وَالْخُسْرُ وَالْخَيْبَةُ وَالْبَطَالَهْ
إِلَى اهْتِضَامِ خَتْمِ الْأَوْلِيَاءِ ❄ وَمَازَجَ النُّكْرَ بِالْإِفْتِرَاءِ
يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ نُورَ اللهِ ❄ وَنُورُهُ لَيْسَ لَهُ تَنَاهِ

22. البيتان للهلالي وهما في أرجوزته المعروفة بالنصيحة. وهو أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السجلماسي، الشهير بالهلالي، ولد سنة 1113هـ/1701م، وتوفي سنة 1175هـ/1761م، كان عالما متبحرا في العلوم النقلية والعقلية، فقيها محدثا، تقيا ورعا زاهدا، متمسكا بالسنة المطهرة، له عدة مؤلفات، منها: الياقوتة الفريدة في نظم لب واجب العقيدة، فتح القدوس في شرح خطبة القاموس، نور البصر في شرح المختصر، نصيحة الهلالي، وهي أرجوزة مباركة يبلغ عدد أبياتها 128 بيتا، ومن شروحها: النسق الغالي، والنفس العالي في شرح نصيحة أبي العباس الهلالي، للعلامة كنون، وفتح العلي المتعالي بشرح نصيحة الهلالي، للعلامة رشيد المصلوت، [انظر:شجر النور الزكية، 355/1، الأعلام، 151/1، طبقات الحضيكي، 116/1، نور البصر في شرح المختصر، 39/1 وما بعدها].

لأنك إذا تأمَّلتَ دوافع المنكر الطريد الذي يبنيه علي التزوير، على الأولياء وسب حفدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا تجد له ركيزة إلا أن يكون حسدا، أو سابقة شقاء في الازل ، وهي الأقرب، فلو ادَّعى المنكر أنه ينهى عن المنكر، فالحاصل أنه ليس من أهل النهي عن المنكر.

ولو كنا قدرنا أنه رأى منكرا مجمعا علي تحريمه، و العمل به قائم، و كان إماما يقيم الحدود؛ لكان عليه أن يركز على من عاصره ممن يخالف الشرع؛ لا أن يتعدَّاه إلى القرون الماضية بزجره وسبه وأفترائه عليهم لأنا ما رأينا قط؛ كلا، ولا سمعنا من ألَّف تأليفا معاصرا يسبُّ فيه عمر بن هشام، ولا عبد الله بن أُبي؛ ليقول أنه أراد بها القربة إلى الله تعالى.

ولا علمنا من قبل كتابا مخصصا لمن لم يعد على قيد الحياة لأمر جاري، فلو تطرق الْمُنْكِرُ إلى سلوك وتصرفات الأحياء من التِّجانيين؛ ممن يخالف الشرع، فألف في الرَّدِ عليهم لكان حديثا في موضعه.

فبان مما تقدم أن المنكر ما أراد إلا أحد الامور المذكورة في النظم: عن حسد وجهالة وخسران... قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة التوبة: 32).

فَزَيَّفْـتُ أَقْوَالَـهُ إِذْ أَفِكَـا ❊ وَصَادَفْـتْ جُذَيْلَـهَا الْمُحَكَّكَا
أَلْقَيْتُ مِنْ مَقُـولِيَ النَّظِيمِ ❊ فِي السِّحْرِ مِنْـهُ بِعَصَـا الْكَلِيمِ
حَتَّى تَلَقَّفْـتْ جَمِيعَ إِفْكِـهِ ❊ بِوَاضِحِ الْبُرْهَانِ دُونَ شَكِّـهِ

الزيف: الغش : ودرهم زائف مغشوش.
وأفك: كضرب وعلم ككذب كما في القاموس.
والمثل العربي يقول في الشيء الذي يقوم به كفؤ: "صادف جذيله المحكك وعذيقه المزجب" وهذا في باب المباهاة و الافتخار، وأصله عند العرب أن الجذل - وهو أصل الشجرة - نسبتة للجربي؛ لتحتك عليه، ويقصد بها القائل غالبا انه الذاب الذي يدفع عن قومه المكاره .
والعذيق المرجب: النخلة التى امتلأت من الثمار حتى جعلت تحتها ما يعينها من الدعائم وغيرها.
وفي الأبيات إشارة لطيفة إلى قصة موسى عليه السلام مع فرعون،و استعارة رائعة، فجاء النظم بمثابة عصا الكليم؛ ليتلقف كيد ما صنع هذا الخليع؛ بسرعة ابتلاع ما افترى.

الْمُرْهَفَاتُ الْقُطَّعُ لِلذَّبِّ عَنْ حِمَى الشَّيْخِ التِّجَانِيِّ

أُرْجُوزَةٌ قَامَتْ مَقَامَ الْجَحْفَلِ ❊ فِي رَدِّ جَيْشِ الْمُنْكَرِ الْمُغَفَّلِ

سَمَّيْتُهَا بِالْمُرْهَفَاتِ الْقُطَّعِ ❊ إِلَى ابْنِ مَن يَأبَى أَخِي التَّنَطُّعِ

خَضِرُ مَنْ خَسِرَ فِي الدَّارَيْنِ ❊ بِسَبِّ سِبْطِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ

الأرجوزة: القطعة من الرجز. والجحفل : الجيش العرمرم.

وهذه الأرجوزة على صغر حجمها ، واختصار ألفاظها يجدها من تدبرها ، أنها ردت على جميع ما يقول المنكر عن شيخنا التجاني رضي الله عنه، لأنها أو ضحت زفيه وغشه وتدليسه، وكشفت مقصوده ونواياه

والمرهفات: المجردات، أو المرققات. والقطع: جمع قاطعة، وفي نسخة: **المرهفات الشُّرَّعُ**[23]: والشرع والشوارع: ما سددت نحو جهة مقصودة.

وابن مايابى المذكور - رجل ينتسب إلى قبيلة يقال لها "تاجكانت" ، وبلغني - أنه كان معروفا بسوء الخلق ، واذاء الناس فكان يسيء الأدب بالشتم لمن تعلم على ايديهم ، وكان كثير التنقل في البلاد وما نزل في حي إلا آذى أهله بلسانه، فما استقر في مكان؛ لأن الأرض ترفضه، والبلاد تمجه، حتى أدى به سوء الحال - نعوذ بالله - إلى أن وقع في جحر يصعب التخلص منه لإذاءته النبي وأهل بيته ظلما وجورا، وكما في محكم التنزيل:

23- ورد في مخطوط للمرهفات كان مودعا بمكتبة الحاج مور امباي سيس (الحاج أبي بكر سيس بن أحمد سيس) ؛ [وهو من نسخ كتبي بيضاني]، ثم أضحى محفوظا في خزانة عامر صمب بإيفَانْ: [المعهد الأساسي لأفريقيا السوداء]؛ [الكراسة رقم:5، تصنيف: التصوف]= أقول: ورد بدل (الْقُطَّع) لفظ (الشُّرَّع)؛ وبدل (ابْنِ مَنْ يَأْبَى) (ابن مايابى)؛ وذلك خلافا لما رود في نسخة الشرح المطبوعة؛ والتي قابلنا نص المتن عليها أثناء التحقيق؛ ولعل المؤلف يعني هذه النسخة التي ربما تكون نسختْ من نسخ المرهفات الأولى؛ والله أعلم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ . (سورة الأحزاب: 57).

ولا شيء أعظم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من إيذاء بنيه؛ فصار من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

أَعَاذَنَا اللهُ مِـــنَ الْبَـــــلَاءِ ❊ وَمِنْ شُـــرُورِ دَرَكِ الشِّقَـاءِ
أَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ الْمُـرَكَّبِ ❊ بِأَنَّـهُ بِسَبِّـــهِ سَـــبَّ النَّبِـــي
لِأَنَّهُ سَلِيلُـــــــهُ فِي الطِّيـــنِ ❊ حَقًّـا وَوَارِثٌ لَـهُ فِي الدِّينِ

قُلْتُ: وفي الخبر « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ [24]»؛و لاشك أن من آذى الشيخ التجاني رضي الله عنه أو سبه ، فقد آذى النبي لأنه إبنه ارثا وطينا . ومن آذى الأبناء فقد آذى الآباء ، مع ما أنضم إلى ذلك مما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم مماهو ثابت ومعلوم: أن من آذاه فقد آذى النبي ﷺ أعاذنا الله من الشقاء.

24. أخرجه ابن ماجه (2142).

قَدِ ادَّعَـى عَلَيْهِ بِالْبُهْتَـــانِ ❊ وَالــزُّورِ مِنْهُ نِسْبَـةَ الْكِتْمَـانِ

إِلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفـى الْعَدْنَـانِي ❊ وَذَاكَ قَــوْلٌ سَــاقِطُ الْمَبَــانِي

لِأَنَّهُ قَـــــوْلُ جَهُـولٍ مُفْتَــرٍ ❊ لَمْ يَـأْتِ فِي قِيَاسِـــهِ بِالنَّـظَـرِ

قُلْتُ: هذا أول مفتريات المنكر الجاحد والغبي الحاسد، الذي افترى على شيخنا رضي الله عنه وذالك عند الله عظيم.

وسيتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود إن شاء الله إن كان مرادك إدراك الحقيقة.

فدعوى المنكر على الشيخ رضي الله تعالى عنه باطلة.

وحاشاه رضي الله عنه من أن يتقول على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن طالع كتب شيخنا، تبين له ما ذكرناه، فديدنه تعظيم الأنبياء والصالحين، فضلا عن سيد المرسلين؛ وليس لهذه الفرية أصل يعتمد عليه من أقوال الشيخ أو في أفعاله لا تلويحا ولا تصريحا، و سيتضح إن شاء الله مقال الشيخ وقصده ومعناه في سياق شرح الأبيات الآتية ، لتعلم أن الشيخ بعيد كل البعد مما ينسبه إليه.

دَحْضُ دَعْوَى الْكِتْمَانِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ الْأَمِينِ:

فَمَا أَتَتْنَا عَنْـهُ فِي مَنْقُـــولِ ❊ نِسْبَةُ كِتْمَـــانٍ إِلَى الـرَّسُولِ
وَلَـوْ تَمَشَّيْنَـا عَلَى مَا زَعَـــمَا ❊ لَا يَجِـــبُ التَّبْلِيغُ فِيمَا كَتَـمَا
بَلْ يَجِـبُ التَّبْلِيـغُ فِيمَا سُئِلَا ❊ عَنْهُ مِنَ الْأَحْكَـامِ أَوْ مَـا أُنْزِلَا
وَغَيْـرُ ذَا تَبْلِيـــغُهُ لَمْ يُجِـبِ ❊ مِيَـــارَةُ طَالِعِـهِ وَابْنُ الْعَرَبِي
وَلَا يَكُـــونُ الْمَنْـعُ لِلْكِتْمَانِ ❊ إِلَّا فِـي الْأَحْكَـامِ وَالْقُـــرْآنِ
وَإِدْيِيـجَ[25] ذَا جَهِلَـهُ وَالْخِضْرُ ❊ فَجَـــاءَ مِنْهُـمَا كَلَامٌ نُكْـــرُ
بِهِ يُلَبِّـــسُ عَلَـى ذِي الْجَهْـلِ ❊ وَكُـلُّ مَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ
فَكَفَّـــرَا إِمَـــامَ الْأَوْلِيَـــاءِ ❊ وَالْجَهْلُ وَالْحَسَـــدُ أَصْـلُ الدَّاءِ

قُلْتُ: فما وقفنا قط في جميع كتب الشيخ ورسائله وكلامه انه نسب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكتمان؛ ولو سلمنا بزعم هذا المنكر لقلنا لا يجب التبليغ في علم علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر بكتمه، والحقيقة أنه يجب على العالم تبليغ ما سئل عنه أو ما تعلقت به أحكام شرعية، كما في «أحكام القرآن» للقاضي أبي بكر ابن العربي رحمه الله تعالى عند قوله:

---

25. هو: هو إدييج بن عبد الله بن حبيب الله بن بيذك بن المختار بن إدييج الكمليلي. [1853 – 1756م]؛ عالم من بلاد شنقيط. [موريتانيا] كان شاعرا مجيدا هَجَّاءًا؛ شديد الإنكار على تجانيي بلاده؛ ترك تراثا غنيا في اللغة والأدب والكلام... من أشهر كتبه وأكثرها تداولا في المحاضر الشنقيطية، والسنغالية: مَتْنُه في علم الصرف المعنون بـ: «نزهة الظريف والمولع بفن التصريف»، والمشهور بكتاب التصريف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾. (سورة البقرة: 159). واستدل بها علماؤنا على وجوب تبليغ الحق وبيان العلم جملة ... إلى أن قال:" فإن قيل فالتبليغ فضيلة أو فرض، فان كان فرضا فكيف قصر فيه الأوائل الذين تبوؤا الدار: كأبي بكر وعمر وأمثالهم ؟ وإن كان فضيلة فلم قعدوا عنها ؟

فالجواب أن من سئل عن علم ، فقد وجب عليه التبليغ لما في الآية الآنفة، وما رواه أبو هريرة وعمر وبن العاص : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ». (رواه أحمد في مسنده).

ومن لم يسأل فلا يلزم عليه التبليغ إلا في القرآن وحده".

وبهذا الحديث يتبين ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ماوجب عليه تبليغ صلاة الفاتح للصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنها ليست بقرآن، وما تعلق بها حكم من أحكام الدين، وكثير مثلها من العلوم التى لم تبرز للوجود الا بعد عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم و عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فلا يقال: إنها غابت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الإمام الصاوي: إن ما أوحي إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: أُمر بتبليغه؛ وهو القرآن، والأحكام المتعلقة بالخلق عموما. فقد بلغها، ولم يزد عليها، ولم يكتم شيئا منها؛ ولو جازله لكتم آيات العتاب في القرآن كقوله تعالى:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ (سورة عبس: 1) ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (سورة الأنفال: 67) ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾ (سورة المسد: 1) ولفظة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ١﴾ (سورة الكافرون: 1) و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ (سورة الإخلاص: 1) و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ (سورة الفلق: 1). و ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ ﴾. (سورة الناس: 1).

وقد شهد الله له بكمال التبليغ، حين أنزل قبيل وفاته " ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ (سورة المائدة: 3). وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه : أقبض فقد بلغت.

والقسم الثاني: ما أمر بكتمه فقد كتمه ولم يبلغ منه حرفا وهو جميع الأسرار التى لا تليق بالأمة. ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة النجم: 10). وقسم ثالث: خير بين تبليغه و كتمه فقد كتم ما قد كتم وبلغ ما بلغ ،و هي الأسرار التى تليق للامة، قال في التكملة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾. (سورة المائدة: 3): أحكامه وفرائضه، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام.

قال الصاوي: وأما آية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾... فهي موعظة لا حكم، وكذاالجلالين عند قوله تعالى :" يأ أيها الرسول بلغ ما انزل اليك "

وفي «**ميارة على شرح ابن عاشر**» عند قوله (يَجِبُ لِلرُّسْلِ الْكِرَامِ الصِّدْقُ ...إلخ.

وبعد بسط مستوف منه، يضيف ابن عاشر وجوب التبليغ، مع مراعاة الامانة؛ حتى لا يضيع شيء مما أُمروا بتبليغه، ولايؤاخذون فيما لم يفشوا باعتباره تقصير أومخالفة في توصيل الرسالة المنوطة على عواتقهم؛ كما زعم المنكر الخضري ابن مايابى؛ وزميل آخر له سبقه في المعتقد "إدبيج[26]"؛ فقذفا إمام الأولياء شيخنا التجاني، ليصطادا الجهلاء وضعفاء العقول ؛ فكفروه واتباعه، جورا وحسدا؛ والعياذ بالله من الخذلان وطمس البصيرة؛ كما في نظم العلامة المحقق والأستاذ المدقق، والعالم المعتمد، وارث سر الشيخ: محمد فال بن باب العلوي الشنقيطي رحمة الله عليه، وغيره من المحققين.

وقولي:

---

26 . سبق التعريف به.

أَلَيْسَ قَالَ الشَّيْـــــخُ فِي الْإِفَادَهْ ❄ قَوْلًا رَوَتْهُ الْعُلَمَـــــــــاءُالسَّادَهْ

إِذَا سَمِعْتُمْ مَا نُمِـــــى لِي فَزِنُوهُ ❄ بِالشَّرْعِ فَالَّذْ خَـالَفَ الشَّـرْعَ ادْفَنُوهُ

لِأَنَّهُ لَيْسَ يَقُولُ غَيْـــــــــرَ مَا ❄ يُوَافِقُ الشَّـــــــــرْعَ وَمَا لَهُ انْتَمَى

قُلْتُ: لأن جميع الكتب المنسوبة للشيخ رضي الله عنه، لا يوجد فيها ما نسبه إليه هذا الرجل؛ وأول توجيهات شيخنا رضي الله عنه كما في الإفادة - المرجع في الطريقة، الذي جمع تلميذه من كلام الشيخ في صورة معجم حسب الترتيب الأبجدي - قوله: (**إِذَا سَمِعْتُمْ عَنِّي شَيْئًا فَزِنُوهُ بِمِيزَانِ الشَّرْعِ؛ فَمَا وَافَقَ الْحَقَّ فَخُذُوهُ؛ وَمَا خَالَفَ فَدَعُوهُ**).

ومثل هذه التوجيهات من تعاليم الشيخ رضي الله عنه عديدة مما حض فيها على اتباع الشريعة المطهرة ، ويأتي هذا النص تحظيرا من ان يقتدى به فى مسألة مدسوسة نسبت اليه ولم تصحح ، فوضع الميزان ؛لأ نه لا يقول او يفعل إلا ما وافق الشرع، وذاك معلوم عند القاصي والداني من أهل العقيدة السليمة والعلم النافع وذوي الإنصاف .

لَكِنَّ عِبَارَاتِ الْكِرَامِ الْأَوْلِيَـــــا ❄ تَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْحِجَابِ الْأَغْبِيَا

فَرُبَّ قَوْلٍ جَا عَنِ الْأَكَابِـــــــرِ ❄ بَاطِنُـــــهُ مُخَالِـفٌ لِلظَّـاهِـــرِ

لِأَنَّمَـا عِبَـــــــارَةُ الْـــــوَلِيِّ ❄ إِشَـــارَةٌ لِلْحَاذِقِ الـــذَّكِيِّ

وواقع الأمر أن عبارات الاولياء لا يدرك معناها إلا من شاركهم في الذوق؛ فذلك معلوم عند العام والخاص؛ فرب عبارة صدرت من ولي، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

كما يحكى أن ثلاثة حضروا مسجدا، فأذن المؤذن، أن : الله أكبر ؟ فقال أحدهم ، كذب، فحكم بقتله؛ فلما قام المؤذن ثانية فأذن أن : الله أكبر : كرر رفيق آخر التكذيب؛ فحكم عليه بدوره بالإعدام ونفذ الحكم ، فلما جاء دورالثالث فسار على نفس النحلة بتكذيب المؤذن ، حاوروه : ياترى لما تكذب من قال الله كبر ؟ فأجاب: إنما كذبت حاله مع تكبيره ، لا لسانه ؛ لأنه لو صدق، لدكدك المحراب.

وهذا ما باطنه مناقض لظاهره؛ كبر مقتا عند الله

وأنشدوا في المعنى:

من ذاق طعم شراب القوم يدريه و من دراه غدا بالروح يشريه [27]

ويحكى أن ثلاثة من القوم سمعوا احدا يقول : يا سعترى بري ؟ فكلهم فهم من هذه الكلمة ما يناسب حاله :

فأما أحدهم كان في حالة البداية ، ففهم منه اسع ترى بري !

والثانى استشرف على النهاية ، ففهم : الساع يرى بري !

والثالث حاله واصل إلى الغاية ، ففهم منها : ما أوسع بري !

وهذا حال القوم رضي الله تعالى عنهم في الإدراك والفهم لله تعالى!

27. البيت لابن الميلق؛ وقد أفرد له الزركلي صاحب الأعلام؛ هذه النبذة التعريفية الآتية: [ابن بنت الميلق: (731 - 797 هـ = 1331 - 1395 م) محمد بن عبد الدائم بن محمد، أبو المعالي، ناصر الدين المعروف بابن بنت الميلق، ويختصر فيقال ابن الميلق: قاض مصري؛ كان شافعيا شاذليا، واعظا بليغا. ولاه الظاهر (برقوق) القضاء، وباشره بعفة ونزاهة مدة اثنتي عشرة سنة. وعزل بعد فتنة (منطاش) وأهين. وانقطع عن الأعمال إلى أن توفي. من كتبه: حادي القلوب إلى لقاء المحبوب، و (الأنوار اللائحة في أسرار الفاتحة، و (جواب من استفهم عن اسم الله الأعظم، و (قصيدة) مطلعها: (من ذاق طعم شراب القوم يدريه) شرحها ابن علان وطبعت مع الشرح. انتهى بتصرف.

وَشَيْخُنَا لِمَا مِـــــنَ الْكَمَـــــالِ ❊ أَيَّـــــــــــدَهُ الْإِلَهُ ذُو الْجَـلَالِ

مَا حَادَ عَنْ هَدْيِ شَفِيـــعِ الْبَشَرِ ❊ فِي قَـــوْلِهِ وَفِعْلِـــهِ وَالْأَثَـــرِ

حَاشَاهُ أَنْ يُنْسَبَ لِلْكِتْمَـــــانِ ❊ مُبَـــرَّأُ الْإِلَهِ فِـــــــي الْقُرْآنِ

و شيخنا رضى الله عنه ، أيده الله با لخلق العظيم؛ فلا يغلبه الحال الذي قد يغلب غيره من الأولياء فيقولون شطحا فيخالفوا حكم الشرع، مع ان المغلوب معذور ؛ فقد وردت في ذلك أمثلة كثيرة عن اكابر القوم قبل ان يتمكنوا في المقامات مما هومسجل في بطون الكتب ؛ فمن ذلك ما يعزى إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى أنه قال . سبحانى ما أعظم شأنى!

وعن الذي قال: أنا الحق! وما في الجبة إلا الله! .

وما وقع للحلاج حين قال إنى أنا الله ! فلما قتل قال تلميذه مخاطبا اياه: لو أراد الله بقاءك ما سقاك من بحر الأنانية.

وانشدوا في هذا المعنى:

فمن شهد الحقيقة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان

كحلاج المحبة إذ تبدت له شمس الحقيقة بالتدانى[28]

وأما شيخنا التجاني رضي الله عنه فلم يؤثر عنه قول من أقوال الشطح وإن كان في الحقيقة غير قادح لكماله الجبلي ؛ فقد صدر من الإمام الغزالي مع تبحره فى علوم السنة ما نقم عليه وصار سببا لتمزيق كتابه إحياء علوم الدين ، ومع ذلك ما راينا من يكفر هؤلاء الذين صدر منهم ما ذكرنا، والعلماء – إذا ذاك – متضافرون ما بين مجتهدين وغيرهم ؛ فأين زمان هؤلاء من زماننا هذا وهو القرن الرابع عشر

28. ينسب البيتان لعبد القادر الكيلاني بهذه الرواية بالنسبة للبيت الأول:

فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان

الذي لم يبق فيه من العلم إلا الدعوى ولا من العلماء إلا مقلدو النفس والهوى. أعاذ الله تعالى من البلى:

وَلَمْ يَقُلْ بِأَنَّهُ قَـــــدْ كَتَمَـــــا ❊ فَضْـــــلَ صَلَاةِ فَاتِـــحٍ بَلْ ذُو الْعَمَى
مُمَـــــوِّهٌ لِقَوْلِـــــهِ بِالْبَاطِلِ ❊ لِكَـــــيْ يَغُرَّ كُلَّ غِـــــرٍّ جَاهِـلِ
مَا قَالَ إِلَّا أَنَّهَا تَأَخَّـــــــرَتْ ❊ لِلزَّمَـــــــنِ الَّـذِي بِهِ قَدْ أُظْهَرَتْ

التمويه : تغطية الشيء بغيره؛ وتمويه القول : تغطيته بالباطل.

ليخيل للسامع أن حديث المنكر حق قائم يسعى، بينما هو لمن يتمعن ويدرك، زخارف واهية لا تنفع أن تكون حجة له وانما عليه ؛ والمتضررالأعظم هو المقلد الأعمى والجاهل المركب؛ أما العلماء المحاطون فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، فلديهم جوامع الكلم ومناط الاحكام.

والغِرُّ بالكسر : الذي لا تجربة له:

وأما مقال شيخنا رضي الله عنه في صلاة الفاتح: أن تأخر فضلها في تأخر من تظهر على يديه، كما سيتم بسطه.

الْعِلَّةُ وَالْمَعْلُولُ يَدُورَانِ وُجُودًا وَعَدَمًا:

إِذْ كُلُّ حُكْمٍ قَدْ أُنِيطَ بِسَبَبِ ❊ تَأَخَّرَ الْحُكْمُ لِذَلِكَ السَّبَبِ
كَثُلَّةٍ تَأَخَّرَتْ وَقَدْ عَلَتْ ❊ عَلَى الَّتِي تَوَسَّطَتْ وَفَضُلَتْ
فَفَضْلُهَا يَأْتِي لَدَى زَمَانِهَا ❊ وَلَيْسَ يُوجَدُ بِلَا وُجْدَانِهَا

لأن الحكم المعلق بسبب يلازم وجودا وعدما المعلق عليه ، فأن وجد السبب وجد الحكم، وإن فقد السبب فقد الحكم. وروى البخاري ومسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ؛ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ».

قُلْتُ: وفي قول المنكر: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إن كان علم بهذه الصلاة ولم يعلمها الصحابة؛ ففيه كتم للوحي؛ فهذا إفك واضح، وضلال مبين لكل متأمل يميز بين الصواب والبهتان؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أورث علوم الأولين والآخرين ولم يفش منها إلا ما أمر بتبليغه.

ففى حديث أبى هريرة رضي الله عنه: « تَعَلَّمْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَرَابَيْ عِلْمٍ : أَحَدُهُمَا بَثَثْتُهُ فِيكُمْ ؛ وَالْآخَرُ: لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِهِ لَقَطَعْتُمْ مِنِّي هَذَا الْبَلْعُومَ. لَفْظُ الْبُخَارِيِّ: وَأَمَّا الْآخَرُ: فَلَوْ بَثَثْتُهُ لَقُطِعَ مِنِّي هَذَا الْحَلْقُومُ. وَفِي رِوَايَةٍ: الْبَلْعُومِ».

فكأنما المنكر في هذا المنطق، يعتقد أن أبا هريرة نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكتمان ، لما خص به دون غيره من الصحابة.

والحاصل أن الكتمان المحرم هو ما امر بتبليغه، وقد بسطنا ماذكره العلماء في هذا المجال مما يعزى لابن العربى، والصاوي، وميارة.

كَذَاكَ فَضْلُ ذِي الصَّلَاةِ عُلِّقَا ❊ عَلَى الَّذِي بِفَضْلِهَا قَدْ رُزِقَا
أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الْحِرْمَانِ ❊ مِنْ فَضْلِهِ وَمُوجِبِ الْخُسْرَانِ
وَأَنْكَرَ الْمُنْكِرُ أَنَّ شَيْخَنَا ❊ يَدْخُلُ مَنْ رَآهُ جَنَّةَ الْمُنَى

وأما إنكاره على شيخنا رضى الله تعالى عنه، أن من رآه يدخل الجنة؛ فأي مانع في الشرع يحول دونه، فذلك فضل الله يوتيه من يشاء. ومما هو معلوم لكل ذي اطلاع أو سماع ممن له بال، قوله عليه الصلاة والسلام «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي لَيَشْفَعُ فِي مِثْلِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ»[29].

وقال المنكر من تمويهاته وتضليله للعوام الذين لا إلمام لهم بالسنة أن هذه المزية ما ثبتت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في عميه أبي طالب وأبي لهب.

وهي حجة واهية لمن له أدنى قدر من العلم، فلا عبرة لمن له دراية بأبي لهب؛ من مات كافرا وقطع بدخوله النار بالنص الصريح. وأما أبو طالب فقد وردت في شأن إسلامه أحاديث غير معتمدة. وللسيوطي بسط واسع يمنع الجزم في الأمر، راجع في ذالك الفتاوى. وقد أخرج الترمذي عن رسول الله عليه وآله وسلم " «لَا تَمَسُّ النَّارَ مَنْ رَآنِي أَوْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي»[30].

وَذَا بِجَنْبِ فَضْلِ رَبِّنَا الْعَلِي ❊ نِزْرٌ وَكَانَ اللهُ ذَا تَفَضُّلِ
وَتِلْكَ دَعْوَى سَبَقَ الشَّيْخَ لَهَا ❊ قَبْلُ الثَّعَالِبِيُّ وَمَا أَجَلَّهَا
بَلِ الثَّعَالِبِيُّ بِسِتَّةٍ تَلِي ❊ رَائِيهِ زَادَهَا عَلَى التَّسَلْسُلِ

29. رواه أحمد بلفظ غير هذا.

30. ورد بهذا اللفظ من رواية الترمذي: «لَا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِمًا رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي».

وما ينكره المنكر على شيخنا رضي الله عنه سبق أن ذكره الإمام الثعالبى عن نفسه، كما هو مشهور : أن من رأى من رأى من رآه إلى سبعة لا تمسه النار، وقال بها أيضا الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وذكر هو الآخر كلمة إلى سبعة.

و مكانة الشيخين من العلم وجلالتهما أوضح من شمس الظهيرة.

فتبين مما تقدم أن هذا المنكر لم يقصد اظهار سنة أخفيت في يومها، أو بدعة أثيرت في وقتها، لأنه عندئذ لا يخلو من أحد أمرين أثنين:

إما أن يكون جهل مقالة هذين الشيخين ؟

وإما أن يكون علمها ؟

فإن كان جهلها، فمثل من يجهل هذه المقولات عن هذين الشيخين التى امتلأت منها الكتب، لا يسوغ له التصدي للا نكار لقصر باعه في العلم بما هو منشور في كتابات أهل العصر، وعلى ألسنتهم .

وإن كان علم بها، وخص الشيخ التجاني رضي الله عنه بالانكار دون القوم، علم يقينا أن دافعه الحسد أو العناد. فحسبه ما وقع فيه من خسران - والعياذ بالله تعالى-.

كَذَلِكَ الجِيلِي لِسَبْعَةٍ أَتَـــــــتْ ❊ عَلَى التَّسَلْسُلِ كَمَا عَنْــهُ ثَبَتْ

وَلَيْسَ يُنْكِرُ عَلَـــــــى الثَّعَالِبِي ❊ وَلَا عَلَى الْجِيلِي أُولُو الْمَنَاصِبِ

لِأَنَّ ذَا لَمْ يَتَّصِـــــــــــفْ بِالْمَنْعِ ❊ إِذْ مَا نَفَـاهُ مَانِـعٌ فِي الشَّـرْعِ

وَجَاءَ فِي الْخَبَـــــرِ أَنَّ الْمُصْطَفَى ❊ قَدْ قَـالَ ذَا وَذَاكَ أَمْـرٌ عُـرِفَا

فَمَا رَوَاهُ جَابِرٌ عَـــنِ النَّبِـــيِّ ❊ كَذَا أَبُـو عِيسَى حَكَاهُ يَا غَبِيُّ

قُلْتُ: وما رأينا من أنكر على الثعالبى، ولا على الشيخ عبد القادر ما ذكرا من دخول الجنة لمن رآهما ، مع أن العلماء في زمانهما متوفرون ورعاة السنة لا يسوغ لهم السكوت عن ما هو ممنوع شرعا ، وقد علم مما قرره الأصوليون أن الأشياء قائمة على البراءة الأصلية؛ ما لم يرد لها مانع يمنعها .

وقد أخرج أبو عيسى الترمذى حديث الرؤية عن جابر وحسنه ، كما مر، وأخرجه الطبرانى والحاكم.

وَرُبَّمَا تَعَـــــــدَّدَ الْقَضِيَّـــــةُ ❄ لِغَيْـــرِهِ مَا لَمْ تَكُـــنْ عَيْنِيَّـــةٌ
لَكِنَّمَـا الْقَـــطْعِي لِلْأَنْبِيَـــــاءِ ❄ وَقَـــــــوْلُ الْأَوْلِيَاءِ لِلرَّجَـاءِ
وَشَيْخُنَا لَمْ يَذْكُـــــرْ أَهْلَ الْكُفْرِ ❄ وَزَادَهُمْ بَعْـضٌ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ
وَكَوْنُ إِيمَانِ أَخِـــــي الْكُفْرِ يُنَالْ ❄ بِسَبَبِ الرُّؤْيَـةِ لَيْسَ بِمُحَـــالْ
وَامْتَحَنَ الشَّيـــــــخَ بِذَا يَهُودِي ❄ وَبَعْـدُ أَسْلَمَ بِلَا جُحُـــــــودِ

فاتضح مما تقدم من ثبوت حديث الرؤية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ممكن، فضلا من الله لمن يشاء من عباده الصالحين وأوليائه المقربين، فلامانع في الشرع، ولا في العرف بحصول ذالك، فالرتب والمزايا منحة ومنة لمن له الأمر.

والمشهور من كلام الأصوليين أن القضية تعم إذا لم تكن عينية.

أما بالنسبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فما صدر منهم فهو معجزة تقبل التحدي به، وأما عباد الله الصالحين و الأولياء المقربين رضي الله عنهم فلهم كرامات لا تقبل التحدي بها على الإطلاق.

ومما حرفه المنكر؛ ليفتري الكذب على الشيخ رضي الله عنه، مما لم يرد في أي كتاب من كتبه؛ رضي الله عنه ما روي: أن يهوديا كان يخيط للشيخ رضي الله عنه ثوبا؛ فجلس قرب قوم من أصحاب الشيخ؛ فتحدثوا بمزيته في من رآه يومي

الإثنين والجمعة؛ بأنه يدخل الجنة؛ فسمع اليهودي بها، فلما أكمل خياطة الثوب طلب من القائم بأمور الشيخ رضي الله تعالى عنه أن يأخذ له الإذن للقاء الشيخ في أحد اليومين المذكورين الاثنين، أو الجمعة، وأعلن أنه يلتمس الدعاء؛ فطلب له الإذن فأذن له رضي الله عنه فدخل عليه، وجلس بين يديه، وأمعن النظر في وجهه، ثم قال: يا سيدي أشهد أني رأيت وجهك الكريم في هذا اليوم العظيم، وذكر اليوم؛ فدعا له الشيخ رضي الله عنه؛ فعاد الى سبيله ؛ فشاء الله المجيب أن يعتنق اليهودي الإسلام قبل موته. وكان بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه تصديقا لضمانه المؤكد من جده.

والقصة واقعة، ومسجلة، ومتواترة؛ لتبرهن وأمثالها على سعة فضل الله تعالى لمن اجتباهم بمشيئته المحضة؛ فتبقى لوعة مشتعلة في قلب المنكر لفضل الله على الحاقد على رجاله.

وَذَا مُتَـــــــرْجَمٌ عَنِ النَّبِـــيِّ ❊ بِـــرَغْمِ أَنْفِ الْمُنْكِرِ الْغَبِـــيِّ
وَأَنْكَرَ الْجَاهِلُ مَا قَدْ نَسَبَـــــا ❊ إِمَامُـــنَا إِلَى النَّبِـيِّ الْمُجْتَبَـــــى
مِنْ أَنَّ مَنْ أَخَـــذَ وِرْدَهُ الْجَسِيمْ ❊ يَدْخُلُ فِي الْجَنَّـــةِ مِنْ فَضْلِ الْكَرِيمْ
وَأَيْنَ ذَا مِمَّا رَوَى الصِّحَـــــاحْ ❊ عَمَّـــــنْ لَـهُ الظَّفْرُ وَالْفَـــلَاحْ
نَبِيُّنَا أَنَّ الَّـــــــذِي قَـــدْ ذَكَرَا ❊ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ مُخْلِصًـــا يُـرَى
فِي جَنَّـــةِ الْخُلْـــدِ بِلَا امْتِـــرَاءِ ❊ وَإِنْ عَلَى رَغْمِ أَبِي الـــــــدَّرْدَاءِ

كما ينكر المنكر المحترف ضمان رسول صل الله عليه وآله وسلم لشيخنا رضي عنه: بالفوز بالجنة لآخذ ورد الطريقة الأحمدية السنية.

فأي مانع شرعي يحول دون ذلك؛ وأي شاهد زور سول له أن يكذب عالما عدلا تقيا نقيا؛ عيلما علما، يشهد القاصي له والداني ممن تأخذ بشهادتم محمل الجد،

فجمع علم الفقه وأصوله وفروعه، وعلم التصوف ودقائقه فارتقى أعلى المقامات فصار قطب أولياء الله الكرام؛ كيف يتقول على رسول الله صل الله عليه وآله وسلم، وهو يدري ما في ذلك فحاشاه! ثم حاشاه!.

ثم إن ورد الشيخ التجاني رضي الله عنه ما هوإلا الاستغفار ، والصلاة على النبى المصطفى المختار، والهيللة.

وليت شعري أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إن أنكر على من داوم على هذه الممارسة أنه يدخل الجنة، مع ما علم في كتاب الله العزيز من وعد لأهل الشهادتين بالجنان وما ورد في الأحاديث الصحاح في هذا المنوال .

ففي الصحيحين بأسانيد عدة:

منها ما هو عن معاذ بن جبل،و ما هو عن أبى هريرة ،وما عن ابى الدرداء :

أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل الجنة وقد قال عليه الصلاة والسلام «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى؟ قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ ؟قَالَ: مَنْ يَأْبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ !»

وَفِي بَعْضِ الطُّرُقِ اخْتِلَافٌ:

مِنْهَا « مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَمِنْهَا: «مَنْ مَاتَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». وروى أبو داود، والطبراني، وأبو يعلى، وابن مردويه، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَشِّرَ أَصْحَابِي. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللهَ غَفَرَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ ! ثُمَّ تَثَبَّتُّ!

قَالَ: نَعَمْ (عَلَى رَغْمِ أَنْفِ عُوَيْمِرٍ»

وعويمر : أبو الدرداء

وأما الاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فإنهما يكفران الذنوب ، كما هو معلوم .

ومن وقف على ورد شيخنا رضي الله تعالى عنه ومقوماتها الثلاثة ليدرك ان المداومة عليها ضمان لدخول الجنة مما يؤيده ما ذكرنا من الاحاديث الصحاح الصريحة .

فتبين أن المنكر ينظر بعين السخط فلا يرى إلا المساوئ؛ والعياذ بالله تعالى.

وَلَمْ يَخُصَّ وَالِـدَاهُ وَلَـــــــــدٌ ❊ وَلَمْ يُعَيِّـــنْ أَبْيَضًا مِنْ أَسْـــــوَدِ
وَهْيَ أَسَـــــــاسُ وِرْدِهِ الْمُبَجَّلِ ❊ فَلَا تَكُـــنْ عَـــنْ ذِكْرِهَا بِمَعْـــزَلِ
فَمَنْ يُصَـــدِّقْ قَوْلَ أَكْرَمِ الْوَرَى ❊ فِي فَضْلِـهَا صَـــدَّقَ مَا قَدْ ذُكِـــرَا
وَنَحْوِ ذَا يُـــــرْوَي عَنِ الْجِيلِيِّ ❊ أَيْـضًا وَقَـدْ أَسْنِـــــدَ لِلنَّبِـــيِّ
عَلَيْهِ أَزْكَى صَلَـــــــوَاتِ اللهِ ❊ بِلَا مَدَى حَصْـــرٍ وَلَا تَنَـــــاهِ
وَإِنَّمَا يُنْكِرُ مَا قَـــــــدْ قَالَا ❊ مُنْكِـــرُ فَضْلِ رَبِّنَـــا تَعَـــالَى

لا شك أن من أنكر ما قاله الشيخ في فضل ورده ، وهو مشتمل على محض ذ كر و استغفار وصلاة على النبي المختار، لجاهل با لسنة النيرة ومنكر لفضل الله و الشيخ رضي الله عنه مستسق من نبع صاف أصيل بنبيء يقين من مطاع أمين فجاء بورد من وارد مكين فبسطه للخلق سواء العاكف فيه والبادي، لا فضل فيه لأ بيض على أسو ولا لأحمر على أصفرفالباب على مصرعيه مفتوح، فمن شاء فليؤمن ومن شاء أنكر.

ويحكى عن الشيخ عبد القادر الجيلي مثل هذا التلقي؛ فجاءت ذرية بعضها من بعض وشجرة ثابتة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين؛ فهو مدد وابل وفيض من غيض:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر او رشوا من الديم [31].

فلم يبق للمنكر على الشيخ إلا تكذيب الأولياء أو التسليم.

فيأتي حديث الأنبياء و الأولياءو الأصفياء، من منهل واحد يؤيد بعضه البعض مما يجعل المنكر في موقف حرج و في حانة ضيقة ،اما أن يضلل الجميع

31. من قصيدة البردة للبوصيري.

فيشذ أو يسلم بما عليه الجمع والجماعة من أهل الفضل والمدد، والله يهدي من أناب اليه ويجتبي أليه من يشاء.

وَأَنْكَرَ الْمُنْكِرُ ذُو الْجَهْلِ الْجَلِيِّ ❊ غُفْرَانَ ذَنْبِ آخِذِ الْوِرْدِ الْعَلِيِّ
أَلَيْسَ الِاسْتِغْفَارُ فِي ذَا الْوِرْدِ ❊ وَهْوَ مُكَفِّرٌ بِغَيْرِ جَحْدِ
كَمَا أَتَى نَصًّا مِنَ الْقُرْآنِ ❊ وَالسُّنَّةِ الْغَرَّا بِلَا بُهْتَانِ

يقف المنكر موقف المتربص على نكيرة شنعاء مع سبق الإصرار، فهو لا يدري، و لايدري بأنه لايدري، ويسقط في هاوية عميقة حين ينكر على شيخنا رضي الله عنه قوله: (إن من أ خذ ورده يغفر الله تعالى له ذنوبه).

وهذا تهكم على الله تعالى،فيصبح كمن حفر جحرا تربصا بغيره ليسقط فيه، قال الشاعر:

وَلا تَحفِرَنْ بِئراً تُريدُ أَخاً بِها ❊ فَإِنَّكَ فِيهَا أَنتَ مِن دونِهِ تَقَعْ
وَكُلُّ امرىءٍ يَبغي عَلى الناسِ ظالِماً ❊ تُصِبهُ عَلى رَغمٍ عواقِبُ ما صَنَعْ[32]

فيأتي في تصريح المنكر المنزلقة و الرديئة الدالة عليه حالا ومقالا: أن التحكم على الله بغير مستند من النصوص ضلال ، فياترى أين مستند في عدم المغفرة لمن هوملازم للأستغفارحتى صارت وظيفة لصاحبها يغدوا ويمسي فيها مواظبة.

فالاستغفار أساس الورد وركنه القائم عليه .

أم جهل المنكر أو تجاهل ما للذكر والورد من تكفرة للذنوب كما جاء ،في الآيات المحكمات والأحاديث المتواترة من الرواة؟.

ومنها على سبيل المثال ما في الصحاح وغيرها من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ،

32. البيتان منسوبان لأبي الأسود الدؤلي.

فَيَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ.[33]». وقوله له صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ سَبْعِينَ مَرَّةً». وغير ذلك مما لا يحصى.

فَلَيْتَ شِعْرِيَ أَجَهْلٌ غَمَرَهُ ❄ أَمْ حَسَدٌ غَطَّى هُنَاكَ نَظَرَهُ
حَتَّى تَحَكَّمَ عَلَى الْجَلِيـــلِ ❄ وَقَدْ نَفَى مَا جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ
أَلَيْسَ فِي الصَّحِيحِ جَا يَقِينًا ❄ مَنْ قَتَلَ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَا
وَأَكْمَلَ الْمِائَةَ بِالَّذِي نَفَــى ❄ تَوْبَتَهُ فَغَفَـــرَ اللهُ الْهُفَـا

قُلْتُ: ومما هو واضح وجلي أن الحسد والحقد قد غمرا قلب المنكر، حتى تحكم على الله عز وجل فصار مسلوب العلم والمعرفة معا؛ فغابت عنه المسلمات.

ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري عن البني صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُد اللَّهَ مَعَهُمْ وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

33. رواه مسلم

والهفا: بالضم : جمع هفوة؛ وهى الزلة والمعصية.

وَأَنْكَرَ الْأَدَاءَ عَنْ أَصْحَابِ ❊ ذَا الشَّيْخِ مِنْ خَزَائِنِ الْوَهَّابِ
حَجَّرْتَ وَاسِعًا فَفَضْلُ اللهِ ❊ وَجُودُهُ لَيْسَ لَهُ تَنَاهِ
وَجَاءَ أَنَّ الْمُصْطَفَى قَدْ سَأَلَا ❊ إِلَهَنَا جَلَّ الْإِلَهُ وَعَلَا
أَدَاءَ مَا مِنْ تَبِعَاتِنَا انْتَهَكْ ❊ فَآلَ الْأَمْرُ أَنْ أُجِيبَ فَضَحِكْ
وَمَا سِوَى الْإِشْرَاكِ فَالْغُفْرَانُ ❊ يُرْجَى لَهُ جَاءَ بِذَا الْقُرْآنُ
أَنْكَرَ فَضْلَ اللهِ مَنْ أَنْكَرَ ذَا ❊ وَلِلْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ نَبَذَا

ويتطاول المنكر ساخرا؛ من حيث لايعلم؛ على مقولة شيخنا رضي الله عنه: إن أصحابه يجتبيهم الله بمشيئته؛ فيتولى عنهم التبعات من الذنوب بفضله الواسع وجوده الكريم فيشمئز من ذالك؛ فقلت: حجرت واسعا ؛ إذا فضل الله لا يحصر، وسعة فضله لاتقاس فمن تطاول على الله في حجر غفرانه للتبعيات من الذنوب فقد افترى إثما عظيما.

ولا معارضة بين ذالك، و ما ورد: أن الحقوق الآدمية تقضى من حسنات الانسان إن كانت له حسنات، وإلا فيجعل عليه من خطايا صاحبها مثل ذلك، و لم يرد أن الله عز وجل لا يقضيها من خزائن فضله .

ثم أن الذنوب كلها مرجوة الغفران عند الله تعالى سوى الشرك به؛و روى مسلم، والترمذي : «وَغَفَرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا الْمُقْحِمَاتُ» .

وقوله المقحمات : هي الذنوب المهلكات قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (سورة النساء: 116)

وفي الخبر: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا لأمته ان تغفر لها التبعات أيام الحج ؛ فلما كان يوم عرفة شوهد يضحك؛ فقيل له: ما يضحك يا رسول الله، أضحك الله سنك؟ فقال : دعوت ربي أن يغفر لأ متي تبعاتها فلم أجب ؛ فلما كان اليوم أجبت، فرأيت الشيطان يحثو التراب على رأسه فضحكت؟ أو كما قال.

وَذَكَرَ الْغَبِيِّ مِنْ تَزْوِيـرِهِ ❄ وَقُبْحِ مَا أَلَّفَهُ مِنْ جُـــورِهِ
عَلَى إِمَامِ الْكُمَّلِ الْأَعْيَانِ ❄ شَيْخِي التِّجَانِيِّ مَنْبَعِ الْعِرْفَانِ
بِأَنَّهُ فَضَّلَ وِرْدَهُ عَلَـــى ❄ آيِ كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَـــلَا
وَذَاكَ قَوْلٌ جَاءَ بِازْدِرَائِهِ ❄ بِالْأَوْلِيَا وَشِـدَّةِ افْتِـــرَائِه

قُلْتُ: وهذه الفرية أكبر من أخواتها، إذ لا وجود أصلا لما لفقه على الشيخ رضي الله تعالى عنه؛ فلم يوجد في أثر من آثار طريقته، هذا الذي نسجه من خياله إلا أن يكون نابعا من أساليبه التمويهية التي عهدناها عنده؛ كما سبق ذكره في شأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

تِبْيَانُ أُكْذُوبَةِ تَفْضِيلِ صَلَاةِ الْفَاتِحِ عَلَى الْقُرْآنِ

وَشَيْخُنَا ذَلِكَ مَا سَطَّـــرَهُ ❄ فِي كُتُبِهِ كَـــلَّا وَلَا ذَكَـــرَهُ
لَكِنَّهُ قَالَ صَلَاةُ الْفَاتِـــحِ ❄ فِي حَقِّ لَاحِـــنٍ لَهُ أَوْ جَـانِحِ
عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ قَدْ شَـــرَدَا ❄ خَيْرٌ لَهُ وَذَاكَ أَمْـــــــرٌ وَرَدَا
فِي لَعْنِ كُلِّ مُسْتَهِينٍ خَاسِئِ ❄ فِي قَـوْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ رُبَّ قَارِئِ
هُنَالِكَ الصَّلَاةُ أَفْضَلُ لِمَـنْ ❄ يَلْعَنُهُ الْقُرْآنُ فِي كُلِّ زَمَـــنِ

قُلْتُ: و في سياق ما سبق من رد شبهة هذا المفتري على عباد الله الصالحين، نأتي إلى تفصيل ما قد سبق في فضل صلاة الفاتح ليتبين للمنصف الحق من الباطل، و العلم من الدجل؛ ثم ليقف المنصف على طول باع الشيخ رضي الله عنه في العلوم والفنون؛ فيتضح بعده حسد المنكر و حقده لينهار به في لج عميق؛ فالشيخ - رضي الله تعالى عنه - قسم حال التالي للقرآن العظيم على أحوال ثلاثة.

وسنأتي بها مفصلة في حينها.

فذكر شيخنا رضي الله عنه أن مرتل القرآن ترتيلا بلا غبن ولا لحن، وهو يمتثل الأوامر ويجتنب النواهي؛ فعمله خير الأعمال، وفعله أفضل ما يتقرب به إلى الله؛ كما سيأتي إن شاء الله تعالى في ذكر قصة الإمام أحمد بن حنبل.

ثم ذكر شيخنا أن الذي يتلوا القرآن مستسخرا ومستهينا به؛ يلحن فيه، ولا يمتثل أوامره، ثم لا ينتهي بنواهيه، فالأفضل له أن يصلي على الحبيب؛ لينال طهرا من الخبيث؛ ففي الخبر : (رب قاريء والقرآن يعلنه)، فكان عليه وذاك حاله أن ينيب الى الله ليهد يه لا ان يرضى بحاله و الصلاة على النبى صلى الله عليه آله وسلم تهدي للتي هي أقوم.

لِأَنَّ فِي الْخَبَرِ صَلَّى عَشْـــرًا ❄ إِلَهُنَا عَلَيْهِ فَهْـيَ أَحْـــــرَى
فَلَمْ يَكُ التَّفْضِيلُ لِلَّذِي تَلِا ❄ بَلْ حَسَبَ التَّالِي وَذَلِكَ جَـــلا
فَلْيَتَدَبَّرْ مَا إِلَيْهِ ذَهَبَـــــا ❄ إِمَامُنَا مَنْ لِلْعُلُومِ انْتَسَبَـــــا
يَجِدْهُ أَوْضَحَ لَدَى الْأَذْهَـانِ ❄ مِنْ وَاضِحِ الشَّمْسِ لَدَى الْعَيَانِ

وفي الخبر مما أخرجه النسائي: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا، ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة»؛ إلى مالا يحصى من التضاعف.

فتبين لأولي الألباب أن الشيخ التجانى رضي الله عنه إنما قصد بالتفضيل بين أحوال القارئين التالين لكتاب الله ، وحاشاه أن يرى التفضيل بين القرآن وأي عمل آخر؛ فالشيخ أشد تعظيما وتقديرا لمكانة القرآن؛ ولتلاوته منازل حسب القارئ وأعلاها من يمتثل بالأوامر وينتهي بالنواهي؛ فهو كتاب عزيز لا يمسه الا المطهرون ؛ ثم أن كتاب الله العظيم لذوا حدين: فهومع الأنسان: اما له أو عليه، نعوذ بالله من الشقاء والبلى ؛ وجاء في الدعاء المأثور عنه عليه السلام: (اللهم اجعل القرآن العظيم شافعا مشفعا فينا، ولا تجعله ماحلا مصدقا فينا).

والماحل: من يشكوك إلى السلطان.

لَكِنَّمَا ذَا الْجَاهِلُ الْغَبِـــــيُّ ❊ قَدْ غَـــــــــرَّهُ غَرُورُهُ الْغَـوِيُّ
فَوَرِدَ الْهَلَاكَ فِيـــــمَا وَرَدَا ❊ وَحَادَ بِالْإِنْكارِ عَـنْ سُبُلِ الْهُـدَى
وَقَدْ نَمَى لِبَعْضِهِمْ كَـــلَامٌ ❊ لَمْ يَكُ فِي إِيرَادِهِ مَـــــــــلَامٌ
أَنَّ الْحَسُودَ حَيْثُمَا تَحْتَـجْ لَـهْ ❊ بِالْكُتُـبِ الْأَرْبَعَـةِ الْمُنَزَّلَـــــــهْ
لَا يَنْتَهِي عَنْ نُكْرِهِ مُصَمِّمًـا ❊ وَمَالَ عَنْ سُبْلِ الْهُدَى إِلَى الْعَمَى

الغَرُورُ: بفتح المعجمة: الشيطان، وزن مبالغة في كثرة ما يغر به الانسان، ويورده موارد الغرور. قال تعالى: ﴿ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (سورة الحديد: 14).

ولا شك أن المتجريء على أولياء الله تعالى المنكر؛ لما لم يحط به علما حاد عن طريق الهدى، فسار على زعمه الباطل؛ فلو كانت نيته خالصة لوجه الله تعالى وقصده النصح لله ولرسوله لدلت عليه لهجته وألفاظه؛ فيخاطب باللطف من خلال الحكمة والمو عظة الحسنة وباللين ، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾. ... (سورة آل عمران: 159).

ففات هذا المنكر أبسط قواعد في أدب الحوار والمناقشة، فحاد عن الهدي القويم، و في الأثر أن الحسود الحاقد لوعرضت عليه الكتب المنزلة من توراة وإنجيل وزبور وفرقان لما زاده إلا اصرارا على ما صمم عليه، ولذلك قيل في المعنى:

كل العداوة قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد

لَمْ يَدْرِ أَنَّ شَيْخَنَا التِّجَـــانِي ❊ بَحْرُ عُلُومٍ زَاخِرِ الْعِرْفَـــانِ
أَعَاذَنَا الْإِلَهُ مِنْ غَيِّ الْحَسَـــدْ ❊ وَمَا يُؤَدِّي لِهَلَاكٍ وَنَكَـــدْ
ورُبَّ تَزْوِيرٍ لَهُ قَدْ أَبْطَلَـــهْ ❊ مَا جَاءَ عَنْ قُطْبِ الرِّجَالِ الكُمَّلَهْ
زَوَّرَ أَنَّ شَيْخَنَا قَدْ فَضَّـــلَا ❊ صَلَاةَ فَاتِحٍ عَلَى مَنْ رَتَّـــلَا
عَدَدُ خَتْمَاتٍ مِنَ الْقُـــرْآنِ ❊ وَلَمْ يَقُلْ ذَا شَيْخَنَا التِّجَـــانِيِّ
مَعْنَى الَّذِي قَالَ مَضَى مُكَمَّلَا ❊ بِأَنَّمَا الْفَضْلُ بِحَالِ مَنْ تَـــلَا
قَدْ ذَكَرَ الْيَدَالِي فِي الْوَسِيلَـــةِ ❊ مِائَةَ أَلْفِ خَتْمَةٍ بِالْمَـــرَّةِ
بِصِيغَةٍ ذَكَرَهَا بَعْضُ الرِّجَـــالِ ❊ أَرْبَى الَّذِي ذَكَرَهُ خَتْمُ الْكَمَـــالِ

وقد ذكر اليدالى رحمه الله في كتابه الذي سماه : «الوسيلة الكبرى في صلاح الدين والدنيا والآخرة» – صلاة وقال : إنها تساوي مائة ألف ختمة ، فما بال ألف من ستة آلاف ولفظ الصلاة التي ذكرها هي:

بسم الله الرحمن الرحيم .

اللهم صل على سيدنا محمد بعدد أنفاس المخلوقات .

اللهم صل على سيدنا محمد بعدد أشعار الموجودات

اللهم صل على سيدنا محمد بعدد حروف اللوح والدعوات

اللهم صل على سيدنا محمد بعدد البدايات والنهايات من المعدوم والموجود إلى أبد الآباد.

وصلى الله على خير خلقه محمد وآله أجمعين.

لا شك أني أطنبت في مسألة القرآن في نظمي بذكرها مرات عديدة و متقاربة و بمعاني متداخلة؛ لأن المنكر جعلها ربع عزة في إنكاره وبنى عليها أساس ما

أراد من تزوير ؛ فجعل من لفظ" تفضيل" شيء ما على القرآن مصيدة، لاشمئزاز النفوس لمثل تلك العبارة ؛ كمن يقف عند لفظ ويل للمصلين دون وصل.

ولما رأى المنكر كلام الشيخ في احوال التالين للقرآن طار باللفظ ، حيث عاد الى عادته القديمة في التمويه اللفظي فأشاع ما حلا له : بإن الشيخ يفضل صلاة الفاتح على القرآن:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وصار يحرف القول عن مواضعه ليخلط الأمور فأعلن افتراءا، أن الشيخ فضل صلاة الفاتح على القرآن وهو ما لا أساس له من الصحة، فالشيخ لم يقل بها تلويحا ولا تصريحا، فكانت بترا لكلمة في جملة متلاصقة، وفي عبارة واضحة المعنى راسخة المبنى، فالشيخ ذهب إلى ما ليس فيه خلاف بين عامة أئمة المسلمين بحجة قاطعة، وما هكذا طريق من يريد إظهار الحق كما يدعي المنكر ،و الاكان عليه عرض الوجه الذي بنى عليه من الكتاب و السنة و ما يؤيده من الفهم الصحيح والرأي الصائب، لكنه فضل الخلط والتنكيل والأثارة ، فلم يذكر ما أتى به الشيخ من استدلال وايضاح ؛ فأبتعد المنكر بأسلوبه الهمجي عن النزاهة العلمية والأدبية و الموضوعية ، فكان كما قال القائل قعنب:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا عني ، وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيرا ذكـرت به وإن ذكـــــرت بشر عندهم أذنوا

وَقَدْ بَنَى الْغَبِيُّ بِالتَّزْوِيـــــرِ ❊ أَسَاسَ مَا رَامَ مِنَ النَّكِيـــــرِ
عَلَى كَلَامٍ مُوهِمٍ كُلَّ غَبِـــيٍّ ❊ يَجْهَلُ مَا وَرَدَ عَنْ قَوْلِ النَّبِـــيِّ
بَلْ شَيْخُنَا قَدْ قَالَ كُلُّ حَرْفِ ❊ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَهُ مِنْ وَصْـــفِ
فَفَضْلُهُ عَلَى الْكَلَامِ مُطْلَقًـــا ❊ صَرَّحَ شَيْخُنَا بِـــهِ مُحَقَّـــقًا
مُقَسِّمًا لَهُ عَلَى أَحْـــــوَالِ ❊ أَرْبَعَةٍ حَسَبَ حَـــالِ التَّـــالِي
فَمَنْ يُلَاحِظْ كَوْنَهُ كَلَامَ ذَاتِ ❊ إِلَهِنَا ذَاتِ الصِّفَاتِ الْكَامِلَاتِ
وَمَا عَلَيْهِ دَلَّ مِنْ مَعَـــــانِي ❊ عِلْمٍ وَآدَابٍ وَمِنْ عِرْفَـــــانِ

فقد تقدم أن هذا المنكر بنى أساس نكره على التزوير، والتضليل، وجذب ضعاف العقول إلى حزبه، فيبني مكره ومكيدته على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا من أولياء الله تعالى الكمل؛ فيصطاد في الماء العكر عن طريق الأبتزاز والتشنيع فيجذب اليه السفهاء من الناس ممن لا نصيب لهم من علوم الدين بما ورد في الكتاب العزيزوالسنة النيرة ؛ وقد برأ الله الشيخ من تلفيقات هذا الماكر الجحود ، لما جاء في كتبه رضي الله عنه، من وضوح ألمعاني وتيسير المفاهم وتقدير للكتاب الكريم وتعظيمه كما في «جواهر المعانى» ، الذي اليه المرجع في كتب اهل الطريقة : فيتضح فيه أن الحرف من القرآن لا يعادل ثوابه بغيره.

و قسم فيه أحوال التالي للذكر الحكيم على أربعة أقسام ؛ فأعلاها: من يتلوالقرآن مراقبا ربه وكأنه يراه و يسمع من عنده ، مستحضرا المعاني متدبرا دقائقه متمثلا آدابه وسلوكه، ولن يؤتى ذلك الا ذوا حظ عظيم من أصفيائه المبجلين وأوليائه المقربين السالكين العارفين بالله المتيقنين ؛ ولا شك أن ذا المقام هوأعلى و أفضل ما يرام وسيأتى تفصيل بقية الاحوال.

وَلَيْسَ ذَا إِلَّا لِعَارِفٍ فَكَـانَ ❊ فِي حَقِّهِ أَفْضَلُ الْأَذْكَارِ الْقُرْآنَ
وَمَنْ تَـلَاهُ بِحُضُـورِ الْقَلْـبِ ❊ كَأَنَّهُ بِهِ مُنَاجِـــــي الـرَّبِّ
وَيَفْهَمُ الْمَعْنَى وَيَمْتَثِلُ مَـــا ❊ أَمَرَ يَجْتَنِبُ مَا قَدْ حَرَّمَـــــا
فَدُونَ الْأَوَّلِ وَلَكِنِ ارْتَقَـى ❊ إِلَيْهِ فِي تَفْضِيلِهِ وَلَحِقَـــا
ثَالِثُهَا مَنْ لَيْسَ يَدْرِي الْمَعْنَى ❊ إِنْ كَانَ بِالْحُدُودِ مِنْهُ يَعْنِـــى
بِالْأَوَّلِينَ لَاحِقٌ لَكِنْ جَدِيـرٌ ❊ بِالْإِنْحِطَاطِ عَنْهَا ذَا بِكَثِـيـرِ

فأما القسم الثانى؛ ممن يتلو القرآن، مع حضور تام وخشوع في القلب، وامتثال ومناجاة لله عز وجل مع إدراك للمعاني، وامتثال للأاوامر، وتَجَنُّب للنواهي؛ فهذا الصنف، وإن كان دون الأول، فهو ملحق به في فضل قراءة القرآن لديه.

والقسم الثالث، وهو الذي يتلوه ولا يدرك معانيه وألفاظه ولا لغته العربية، إلا أنه يمتثل او امره ويجتنب نواهيه فهو ملحق بالصنفين الأولين ولو كان دونهم قدرا.

يأتي هذا التبيان والوضوح ليؤكد معرفة الشيخ بأحوال القراء وتفاوت رتبهم، مع انزال كل تال منزلته اللائقة به، فكان بها مرجعية عظمى وغاية قصوى لعلوم القرآن ومنابع السنة الطاهرة فقدمه فوق الجباه وساقه على رقبة العارفين بالله الكمل ، وما بال ذالك من علماء الرسوم ، وأين كل هذا عمن لم يكن له حظ من العلم إلا الإنكار ! .

ومن أين وجد ما مفاده تفضيل ذكر على تلاوة القرآن العظيم، ثم كيف يتم الخلط بين أحوال القاريْ والتفضيل بين الأفعال والأعمال المختلفة .

ثم نقف على ماتطرق اليه المنكر من وقاحة ليتضح ما يخفيه ضغينة وحقدا وكراهية للأولياء الكمل فنسأل الله تعالى لنا ولجميع المسلمين النجاة والبعد من قذف اوليائه المقربين بالسوء والبهتان.

وَمَنْ تَلَاهُ غَيْرَ عَامِـلٍ بِمَا ❊ جَاءَ بِهِ جَهِلَـــــــــهُ أَوْ عَلِـمَا
فَذَا الَّذِي الْقُرْآنُ قَدْ يَلْعَنُهُ ❊ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ لَا يُحْسِنُـــــــهُ
وَذَا صَلَاتُهُ عَلَى نَبِيِّـنَـــا ❊ فِي حَقِّـــــهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُلْعَنَا
وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ الصَّلَاةَ تَلْعَـــنُ ❊ قَارِئَهَا وَذَاكَ فَضْلٌ بَيِّـــــــنُ

قُلْتُ: وبعد ذكر الأصناف الثلاثة التَّالين للقرآن الكريم، وتفاوت رتبهم العلية؛ يتطرق الشيخ رضي الله عنه، الى الصنف الرابع والأخير المخالف تماما للأوامر والنواهي ، فهو رغم تلاوته غير عامل بما فيه ، سواء عن علم أو جهل و هو المقصود بالحديث : (رب قارئ والقرآن يلعنه).

ولاشك أنها إفادة ونصيحة لكل ذي بال عالما كان ام دونه ، فالكتاب لا يمسه الا المطهرين تنزيل من رب العالمين؛فليحطاط القاريء حتى لا تزل به القدم.

فتبين مما تقدم لكل منصف أن الشيخ التجانى رضي الله عنه بعيد كل البعد عما ينسبه اليه المنكر المحتال، من تفضيل الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم على القرآن ، لأن القراء الأربعة الذين ذكرهم الشيخ فثلاثتهم لا ضير عليهم بالتلاوة والأفضل عندهم هو الذكر القرآني ..

والرابع الذي لا يأتمر بامره ولا ينتهى بنهيه .

وَمَنْ يَقُلْ إِنَّ الصَّلَاةَ أَكْثَرُ ❄ أَجْرًا مِنَ الْقُرْآنِ لَا يُكَفَّرُ
إِذْ كَثْرَةُ الْأُجُورِ لَا تَسْتَلْزِمْ ❄ لِلْأَفْضَلِيَّةِ كَمَا قَدْ يُعْلَمْ
مِمَّا حَكَاهُ النَّوَوِي وَابْنُ حَجَرْ ❄ فِي الْفَتْحِ أَيْضًا نَصُّ ذَلِكَ ذُكِرْ

فهو محل زجر الشيخ ومرمى الحديث الشريف : (رب قارئ والقرآن يلعنه)؛ والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل له من أن يلعنه القرآن.

وجاء في «الأذكار النووية» ، قال عن أصحابنا من ذوي الفضل والعلم: أن قرآة القرآن أفضل من الدعوات غير المأثورات ؛ وأما المأثورات ، فهي أفضل من قراءة القرآن على الصحيح ...

وفي «فتح الباري» في الجزء السابع في الصفحة الخامسة ما نصه: "للعامل بالأذكار منهم أجر خمسين من غيرهم ؛ لأن زيادة الأجر لا تستلزم الأفضلية". والكلام هنا معزو لـ «الأذكار النووية» ، و«فتح الباري».

وقال العالم أبو عبد الله سيدي محمد الخرشي في «شرحه الصغير على المختصر» : "وفضل حج على غزو إلا لخوف وركوب" .

ثم قال بعد ما قرر كلام المصنف: وأن الحج راكبا أفضل من الحج ماشيا؛ ما نصه: "ولا يعارض هذا مارواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: «للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة، وللماشي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة» لأن المزية لا تقتضى الأفضلية .

وغير ذلك مما لا يحصى من تضاعف الاجور، ولا ينكره إلا الجاحد المعاند.

الْمُنْكِرُ عَلَى الْمُصِيبِ مُخْطِئٌ:

قَدْ ضَلَّ مَنْ أَنْكَرَ مَا لَيْسَ بِهِ ❊ يُحِيطُ عِلْمًا فَاتَّئِدْ وَانْتَبِـــــــــهْ
وَجَاءَ أَنَّ أَرْبَعًا مِنَ الْمِئِيـــنْ ❊ خَصَّتْ بِعِلْمِهَا الْكِرَامُ الْعَارِفُونْ
مِنَ الْعُلُومِ وَجَمِيعِ الْعُلُـــــمَا ❊ لَمْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَهَا طُـــــرًّا كَمَا
أَخْبَرَ عَنْهُ الْعَارِفُ الشَّعْـرَانِيُّ ❊ أَخُو الْعُلُومِ صَاحِـبُ الْمِيـــزَانِ
وَالشَّرْطُ فِي الْإِنْكَارِ عِلْمُـكَ بِمَا ❊ حَوَتْ مَذَاهِـبُ جَمِيـــعِ الْعُلَمَا

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾. (سورة الإسراء: 36).

وقد نصوا: أن النكر لا يسوغ إلا لمن ألم بجميع المذاهب على كثرتها، ولم يوجد من يحصرها في الأزمنة الأوائل. وبالأحرى في زمننا هذا المتأخر الذي ذكر في حقه الصادق المصدوق:

«إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا؛ وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا؛ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (رَوَاهُ البخاري).

وأجمعت نصوص الكتب الصوفية على أن جميع المذاهب لا يتأتى حصرها، ولذا لا يصح الإنكار لعدم إمكان الحصر لجميع المذاهب؛ إذ أن إنكار فعل أو عمل الرجل الصالح من أولياء الله يدعوا إلى الحيطة، والإلمام بالعلوم المختلفة، فكان الأولى والأجدر الاشتغال بعيوب الذات، و النفس، وتهذيبها، لأن الأعمى لا يقود البصير.

وذكر الإمام الشعراني : إن أربعمائة وأحد عشر علما اختص بها العارفون ؛ وجميع علماء الظاهر لا يعرفون اسما من أسمائها فضلا أن يكون لهم فيها مطمع ، أو خوض في مسألة من مسائلها.

كَيْ لَا تُخَطِّئَ الْمُصِيبَ الْعَالِـــمَا ❄ بِمَا ذَكَـــرْتَ فَتَكُونَ آثِـــــمًا

وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ شَرْطَ الْمُنْكِـــرِ ❄ فَإِنَّنِي عَلَيْـــــــكَ بِالنُّكْـرِ حَرِ

فَالشَّرْطُ فِي الْإِنْكَارِ أَنْ يَكُونَـــا ❄ عَلَيْهِ قَبْلُ مُجْمَعًا يَقِينَـــــــــا

قِيلَ وَأَنْ تَلْقَى الَّذِي أَنْكَرْتَـــا ❄ عَلَيْهِ كَيْ تَعْرِفَ مَـــــــا ذَكَرْتَا

هَلْ كَانَ حَقًّا أَوْ عَلَيْهِ مُفْتَـــرَي ❄ وَالْإِفْتِرَا عَلَيْهِ شِيمَةُ الْـــــوَرَى

وَأَصْلُ كُلِّ ذَلِكَ الْمُعْتَمَـــــــدُ ❄ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُنْكِرِينَ الْحَسَـــــــدُ

هَلَا بَدَأْتَ قَبْلَهُ بِالنُّكْـــــــــرِ ❄ عَلَى أَبِي جَهْلٍ رَئِيسِ الْكُفْـــــــرِ

ثُمَّ تُرَى مُثْنِيًا بِابْنِ خَلَـــــــفْ ❄ أُبَيٍّ الْمَقْتُولِ حَقًّا إِذْ صَـــــــدَفْ

أَمَّا إِمَامُ الأَوْلِيَا فَالنُّكْـــــــــرُ ❄ عَلَيْهِ عَنْهُ قَدْ نَهَانَا الذِّكْـــــــرُ

لَبَّسْتَ إِذْ مِنْتَ عَلَى مَنْ لَا يَمِينَ ❄ إِعَانَةً لِجُنْدِ إِبْلِيسَ اللَّعِيـــــــنِ

فَبِئْسَمَا أَسْدَيْتَ إِذْ جَعَلْتَ سَبَّ ❄ مَوْتَى الْأُولَى قَدْ آمَنُوا مِنَ الْقُرْبِ

وَذَاكَ عَنْهُ قَدْ نَهَى خَيْرُ الْعَرَبِ ❄ صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَيْهِ خَيْـــــرُ رَبِّ

لَا سِيَّمَا مَنْ لَيْسَ يَعْلَمُ سِـــوَى ❄ إِنْكَارَهُ الْحَقَّ وَتَقْلِيدَ الْهَـــــوَى

قَدْ بَاءَ بِالْخُسْرَانِ وَالْحِرْمَـــانِ ❄ وَبِالشَّقَا وَسَلْـــــــــبِ الْإِيمَانِ

أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الْبَـــــــلَاءِ ❄ بِجَاهِ طَهَ خَتْـــــــمِ الْأَنْبِيَاءِ

وَمَنْ يَسُبَّ شَيْخَنَا التِّجَـــانِيِّ ❄ جَزَاؤُهُ الْمَوْتُ عَلَى الْكُفْـــرَانِ

كَمَا حَكَى عَنْ أَحْمَدَ الْعَدْنَـــانِيِّ ❄ أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الْخُسْـــــرَانِ

ذلك لأن مُخَطِّئَ المصيب مخطىء؛ فإن كان مع شتم وسب لمسلم؛ فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ»[34].

فكيف ان كان المقصود بالقدح والذم والشتيمة ابن رسول الله طينا وإرثا؛ بنسب صحيح التسلسل، وعلم نافع في مجالي المعرفة: الظاهر منها واللدني، فهو مرجع العلماء، وإمام الأولياء: فلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ففي ببه إذاية لمن جعله الله خير خلقه.

وَالسَّبُّ لَا يَجُوزُ فِي آلِ النَّبِيِّ ❊ لَوْ بَدَّلُوا أَوْ غَيَّرُوا فِي الْمَذْهَبِ

قال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ... ﴾ (سورة الأحزاب: 57). مع أن الشيخ التجاني رضي الله عنه، نال ضمانا من جده صلى الله عليه وآله وسلم أن من سبه سُلِبَ، ولا يموت إلا كافرا، والعياذ بالله من الجور، والقدح، وظلم الأولياء المبجلين.

وقال عزوجل حكاية عن الرجل الصالح: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ (سورة غافر: 28).

والمنكر المعاند يتطاول على شيخنا رضي الله عنه وحظه من العلم قليل فلم يبلغ مقام العلماء ناهيك أن يكون مجتهدا.

وقد قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني : "إن حكم المقلد مع العارف في الجدال حكم اثنين دخل احدهما بيتا نهارا سليم العقل والبصر ورأى جميع ما فيه؛ وآخر لم يدخله لا ليلا ولا نهارا ، لكنه اخبر بما في البيت ممن قد يكون دخله فصدقه . فمثل العارف السالك والواصل كالأول الذي دخل البيت ا بحواس سليمة وبمعية قدسية ؛ ومثل الثاني يضرب للمقلد الذي لا نصيب له من اليقين ؛ فهو

34. حديث متفق عليه.

كالذي لم يدخل البيت وانما أخبرعنه ولو بلغ المخبرون حد التواتر فليس من رأى كمن سمع ، فلا ينبؤك مثل خبير ...".

ثم أضاف: "إن حكم المقلد كحكم اثنين لم يدخل واحد منهما البيت او دخلاه في ظلمة او ذهول ، ثم اختلفا في صفة ما في البيت؛ فليس واحد منهما على يقين فيما يقوله أو يزعمه، فان الظن لا يغني من الحق شيئا".

وحكم العارف مع العارف: حكم اثنين دخلا نهارا جهارا بيتا ، مع صحة عقله ورأَي جميع ما فيه؛ فهما متفقان، لا خلاف بينهما".

مما يستنتج منه أن المنكر تجاوز حدوده ولم يعلم بقدره فيجلس دونه ،فدخل فيما ليس له به علما ، والمؤدي الى ذالك إعجابه بنفسه وكبرياءه ، نعوذ بالله من الخذلان وطمس البصيرة.

وَقَامَ أَيْضَا زَادَهُ اللهُ عَلَى ❄ مَا نَالَ مِنْ أَسْوَإِ حَـالٍ وَجَلَا
يُنْكِرُ مَا قَالَ أَبُو الْعَبَّـاسِ ❄ عَنْ جَدِّهِ خَيْرِ بَنِي إِلْيَـاسِ
أَنَّ ثَوَابَ الْعَامِلِينَ يُحسَبُ ❄ نَظِيرُهُ لِصَحْبِهِ وَيُكْتَـبُ
وَقَدْ أَتَى نَظِيرُ ذَا فِي الْخَبَـرِ ❄ مُصَحَّحًا مِنْ قَوْلِ خَيْرِ مُضَـرِ
كَمَا أَتَى بِهِ صَحِيحُ مُسْلِـمِ ❄ بِسَنَدٍ إِلَى شَفِيعِ الْأُمَـمِ
فِي خَازِنٍ وَمُـرَّةٍ كَذَلِكَ ❄ وَلَيْسَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْمَالِكِ

قُلْتُ: ومما أنكر هذا الجاحد على الشيخ رضي الله عنه قوله: إن ثواب العاملين يكتب لقاريء صلاة الفاتح وهذا خبرتلقاه من مصدر أصيل ومن نبيء يقين عمن لا ينطق عن الهوى ، واحتج المنكر بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾. (سورة النجم: 39).

وقد جهل أو تجاهل العديد من الأحاديث المصرح فيها بإثبات الأجر لمن لم يعمل، فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه في خبر المرأة والخازن ...

وَمَنْ يَسُنَّ سُنَّةً حَسْنَـــــــاءَ ❄ يَنَالُ أَجْرَ مَنْ بِهَا قَدْ جَـــــاءَ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ أَجْرَ مَنْ عَمِلْ ❄ فَفِي الْحَدِيثِ ذَا صَحِيحًا قَدْ نُقِلْ
وَغَيْرُ ذَا مِنْ نَصٍّ مَأْثُورٍ جَلِـــيٍّ ❄ مُصَرَّحًا بِأَجْرِ مَنْ لَمْ يَعْمَـــــلِ
أَلَيْسَ فِي خَصَائِصِ الأَسْـــــمَاءِ ❄ عَمَلُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّـــــمَاءِ
لَكِنَّهُ مِنْ جَهْلِهِ الْمُرَكَّـــــــبِ ❄ رَكِبَ فِي الْإِنْكَارِ صَعْبَ الْمَرْكَبِ
وَرُبَّ قَوْلٍ صَادِرٍ مِنَ الْوَلِـــيِّ ❄ يَكُونُ عَنْ أَفْهَامِنَا بِمَعْـــــزَلِ

وفي الحديث ما رواه مسلم والترمذي ، و ما معناه في صحيح البخاري: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَهَا» .

وفي الصحيح: «إِنَّ مَلَائِكَةً سُيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يَحْضُرُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ... إِلَى أَنْ قَالَ : اشْهَدُوا أَنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ: إِنَّ فُلَانًا جَاءَ لِحَاجَةٍ وَلَيْسَ مِنْهُمْ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لَهُ... هُمُ الْقَوْمُ؛ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُم!». أَوْ كَمَا قَالَ.

وغير هذا مما هو معلوم من ثبوت الأجر لمن لم يعمل، وفي خصائص بعض الأسماء : أن من ذكرها مرة واحدة يكتب له عمل أهل السماء والأرض.

ففى «قوت القلوب للشيخ أبى طالب المكي» من قرأ: "باسم الله العظيم الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى: لا إله أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين" إلخ... هذا الدعاء من قرأه يعطى ثواب أهل السموات والارض. وقال في رواية: (يكتب قارئها من الساجدين المخبتين ، ويكون في جوار سيدنا محمد ، وموسى وإبراهيم ، وعيسى في دار الجليل). ومنها دعاء : (يا من

أظهر الجميل ، وستر القبيح)؛ الذي ثبت في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يمحى لقارئه جميع الذنوب ، ويعطى ثواب جميع الخلائق في كل مرة منه ، إلى غير ذلك مما لاتحيطه مجلدات .

ومع ذلك فإن كلام الأولياء لا يفقهها إلا من أهله الله تعالى لذلك ، وكذالك أفعالهم ، لا يفقهها إلا ذوا حظ عظيم .

وفي قصة الخضر مع موسى ما يكفي حجة مقنعة لمن أردا الله به خيرا وعصمه من جحود ما أتى من الأولياء ، رضوان الله تعالى عليهم.

مع أن موسى نبي من أولى العزم من الرسل، إلا أن الخضر لما حرق السفينة أخفيت الحكمة عليه، و كذلك لما قتل الصبي أخفيت الحكمة كذالك عن موسى الكليم؛ مع ان الخضر مختلف في نبوته، والمشهور صلاحه وولايته ، و هوالمعتمد مما يدل على أن للأولياء فهم خاص بهم وأدراك وراء الحواس و رحم الله من سلم الأمر لربه.

وَرُبَّمَا قَادَ اللَّعِينُ لِلشَّقَـــــــا ❄ مُنْتَقِدًا عَلَيْهِـمْ مَـا حَقَّقَـا
مَقَالُهُمْ مِنْ عَالِمٍ مُحَقِّـــــــقٍ ❄ يَقِيهِ مِنْ سُوءِ الْهَلَاكِ الْمُوبِـقِ
وَزَوَّرَ الْغَبِيِّ أَنَّ شَيْخَنَـــــــا ❄ قَدِ ادَّعَى فَضْلَ أَمِينِ إِلَاهِنَا
وَفَضْلَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ لِصَحْبِـهِ ❄ وَذَاكَ مَحْضُ الزُّورِ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ

ومن أسباب خسارة المنكر في الدارين الدنيا والآخرة، أن تتراءى له بعض المفاهيم، ويخالطه الشيطان بالاعجاب بعلمه حتى يرى نفسه الموكل على الخلق بأطفاء ما يعتقده بدعة فيخيل اليه أنه بقدرة فائقة وأنه نصب من قدير عليم خصوصية دون غيره، فأنبهر بعلمه و رأى صيته يعلوا فيقرب عند الامراء والسلاطين، مما دفعه أن يلقي بحباله وعصيه حتى خيل اليه أنها تسعى، ففقد

الوعي وطار منه العقل، فسال لعابه، وهو يلهث، لينضم الى صف وعاظ السلاطين.

فمن خوله منصب العالم الملم بجميع المذاهب، المحيط بأغوارها ومتشعباتها ،فيتصرف من منطلق من أدراك ماأتفق عليه من أحكام وما منع منها وما أجيز؛ حتى يقف موقف مرجع الكل، فأخذ في تفنيد ما لم يوافقه؛ اذ أنه لا يجوز الانكار الا لماأ جمعت المذاهب على بطلانه ، وما في حكمه اجماع ، فان الأختلاف رحمة لأن المذاهب كلها موارد المجتهدين وغصون متفرعة مما علمه الصحابة عليهم رضوان الله وفي الخبر: (أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِم اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ).

فيصير بذالك منكرا على من هو مصيب، فيصبح مخطئا لتخطئته المصيبين؛ مايدل على تعصبه.

ومما هو مسلم به أن العجب يولد الخطأ ، وقيل في المعنى:

سرحتا من وثاقي اذ وثقت بها والعجب أصل لما في النفس من داء

فَهْوَ مَقَالٌ أَبْطَلَتْهُ الْحَـــالُ ❄ مِنْ شَيْخِنَا وَالْفِعْـلُ وَالْمَقَالُ

لِأَنَّ تَعْظِيمَ النَّبِي وَصَحْبِـهِ ❄ مِنْ شَأْنِ شَيْخِنَا وَشَأْنِ حِزْبِهِ

وَكَيْفَ لَا وَهْوَ مُفِيضُ الْمَدَدِ ❄ عَلَيْهِ وَالْهَادِي لسُبْـلِ الرَّشَدِ

بَلْ قَالَ إِنَّ رُتْبَةَ الْأَصْحَابِ ❄ مَا نَالَهَا أَكَابِرُ الْأَقْطَـــــابِ

وفي الواقع أن من تأمل سلوك شيخنا رضي الله عنه وبحث في كتبه ورسائله لوجد ما يحض عليه من تقدير ومحبة الأنبياء عليهم السلام و الصحابة رضوان الله عليهم ، فكيف يعقل ان يدعي الشيخ خصوصية النبي صلى الله عليه وآله و سلم بمجرد تصريحه أنه خاتم الأولياء؛ فذلك مقال لا دعوى فيه ولا تطاول ، كما لا مانع شرعي يحول دونه ؛ وكان ابن العربي الحاتمي قد

أعتقد ذالك المقام في نفسه الى أن خوطب ان ليس لك ما ادعيت وتمنيت ... فرضي بما أوتي وتراجع عما لم يدرك ... إلى ان قال وقد رأيت خاتم الأولياء بفاس مبتلى بالإنكار عليه؛ فكان كما قال. و المنكر بفعله هذا يؤكد ذلك الكشف؛ فالجمرة لا تلد إلا نارا؛ وجملة المنكرين ملة واحدة؛ ثم أن فاس لم تسمع أو ترى من صرح بالختمية، ثم ابتلي بالإنكار غير الشيخ التجاني؛ مما يؤيد كشف ابن العربي الحاتمي.

ثم راجع كلام الشعراني مما رواه اليدالى في «الذهب الإبريز» عند قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. (سورة النور: 55)

و ذكر الشيخ سيدي محمد الخليفة ابن الشيخ سيدي المختار الكنتى رحمها الله في «الطرائف والتلائد»: أن قرن والده الشيخ سيدي المختار يشبه قرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عدة وجوه: وذكر منها أن في قرن والده ظهر خاتم الأولياء. وقد علم أن الشيخ رضي الله عنه عاش في قرن واحد مع الشيخ سيدي المختار الكنتي.

وَلَمْ يَنَالُوا مَطْمَعًا فِي مَطْمَعٍ ❄ فِي نَيْلِهَا وَلَوْ بِأَدْنَى مَوْقِعٍ

وَقَالَ إِنَّ سَيْرُنَا بِالنِّسْبَةِ ❄ لِسَيْرِهِمْ مِثْلَ الْقِطَا وَالنَّمْلَةِ

وَذَا مَقَالٌ شَائِعٌ فِي كُتْـــبِ ❊ إِمَامِنَا وَالْغَيْرُ مُحْضُ الْكَذِبِ
فَلَا تَسَلْ بذي مُجُـــونٍ لَاهٍ ❊ يَرْمِي بِقَوْلِ الزُّورِ أَهْلِ اللهِ

قد ضرب الشيخ رضي الله عنه مثلا لسير الصحابى مع غيره من الأولياء فشبهها بالقطاة المسرعة مع سير النملة البطيئة، و ليس ذا مقال يعادل فيه الصحابة رضوان الله عليهم بغيرهم ، لكن المنكر أرادها ذريعة لبناء افتراءه ؛ كما قال القائل:

إن يسمعوا ريبه طاروا بها فرحا عني وما سمعوا من صالح دفنوا.

فمن أردا المزيد فيما قاله الشيخ رضي الله عنه فليراجع كتبه ليدرك ما في طياتها من محبة وتقدير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه عليهم رضوان الرحمن؛ فيدرك المنصف حينئذ أن ما ينشره المنكر أويتفوه به من وحي الشياطين نعوذ بالله تعالى من همزاتهم، ونعوذ به أن يحضرون.

وفي الخبر: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ[35]).

﴿... مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ...﴾. (سورة النساء: 123).

وَصْفُ التِّجَانِيِّينَ بِالْكَسَلِ وَالْاِتِّكَالِيَّةِ بُهْتَانٌ مُبِينٌ:

وَمِنْ خُزَعْبَلَاتِهِ الْمُنَاكِـــــرِ ❊ وَسُوءِ مَا أَوْدَعَ فِي الدَّفَـاتِـرِ
أَنَّ إِمَامَنَا التِّجَانِيَّ اتَّكَـــــلَا ❊ وَصَحْبَهُ وَلَمْ يُؤَدُّوا عَمَـــلَا
وَالدِّينُ يَشْهَدُ بِزُورِ مَا افْتَرَى ❊ وَالْحَالُ تَشْهَدُ وَسَائِرُ الْوَرَى
دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَهْيَ الْأَرْبَـعُ ❊ هَلْ غَيْرُ شَيْخِنَا بِهَا مُتْتَـــعُ
مَاءُ الْعُيُونِ قَالَ فِي شَأْنِ الْإِمَامِ ❊ تَيَسَّرَ الْحَجُّ لِصَحْبِهِ الْكِرَامِ

35. ورد الحديث باللفظ الآتي من حديث لمعاذ؛ رواه أحمد والطبراني وغيرهما: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ).

والخزعبلات: الأباطيل، والزور، والكذب.

والدفاتر: جمع دفتر، وهو الكتاب.

إن ما يدعيه المنكر المفتري على شيخنا رضي الله عنه وعلى أصحابه من الاتكالية والكسل عن العمل، محض كذب يصدر من حاقد أعمى؛ لأن الشيخ رضي الله عنه حاله في الجد والاجتهاد و في العبادة معلوم عند الخاص والعام ، وماكان عليه من المجاهدة والصبر في طاعة الله، وعدم الميل الى حطام الدنيا العارضة الزائلة، مع إقبالها اليه مهرولة وثباته على تلك الصفة حتى أتاه اليقين ؛ ولم يترك من الارض مقدار شبر يملكه، مع تمكنه من أمتلاك ضياع من الارض لو كانت له بها همة وذاك غاية الزهد...

وأما أصحابه فشأنهم معلوم عند الناس ، عمروا أوقاتهم الزكية بالطاعة دون الأكتفاء بالأستطاعة، من ذكر واستغفار ودوام الصلاة على النبي المختار؛ فصفتهم الحميدة وديدنهم بالغدو والآصال الصدح بدوي كدوي النحل؛ في حلقات الذكر والتذكير بآي الذكر الحكيم .

وأما اعتنائهم بحج بيت الله العتيق فلهم فيه تيسير وتسخير؛ منة من الله العلي القدير باختلاف أوطانهم وأجناسهم وألوانهم؛ فيؤدونه رجالا؛ و على كل ضامر، ومن كل فج عميق؛ من أقاصي إفريقيا وآسيا؛ زادهم التقوى، ودليلهم الصبر، والمصابرة، وعلاماتهم بالنجم لأنهم به يهتدون؛ فيسلكون الوديان العصيان والجبال الصعاب والليالي الحالكة؛ مما تعجز عنه الجيش العرمرم ، وقد لا يعودون إلا بشق الأنفس. وبعد سنين من الدهر ، فتكون فرحتهم التامة في كونهم قد أدوا فريضة الحج وزاروا روضة خير من صطفاه مولاه ، وأتوا أولى القبلتين، وثالث الحرمين .

و الأمثلة في هذا المجال عديدة بتوفيق الله للتجانيين من اهل شنجيط وغيرها من سكان تلك المناطق الوعرة والنائية ؛ حتى قال الشيخ ماء العينين : إن تيسر الحج من خصائص هذه الطريقة .

فهم أيضا أهل الطهارة المائية حتى ضرب بهم المثل في حرصهم عليها ،ومحافظتهم على الاستقامة فهم رهبان الليالي؛ أسود النهار؛ فيعبدون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ؛ صياما وذكرا وهذا معلوم ومتواتر.

وَالصَّوْمُ وَالصَّـلَاةُ وَالزَّكَاةُ ❄ هَذِي لِصَحْبِ شَيْخِنَا صِفَاتُ
خَامِسُهَا الشَّهَادَتَانِ أَدْرَكُوا ❄ ذَوْقَهُمَا وَاللَّفْظُ فِيهِ شَارَكُـــوا
فَرُبَّ مَسْجِدٍ لِـــذَاكَ رَفَعُوا ❄ وَمَجْمَعٍ بِجَامِـــــعٍ قَدْ جَمَعُوا
وَعَمَّرُوا الْأَقْطَارَ بِالزَّوَايـــا ❄ لَكِنْ عُدَّتُكَ تَيْلِكَ الْمَزَايَـــــا

فيعملون بمقتضى الحديث: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[36] فبقوة الايمان زكوا النفوس ففضضوها وهذبوا القلوب فذهبوها باكسير من العلي القدير.

أما الأذواق فهي حسية ولفظية. فأما الإدراك الحِسّيُّ؛ فينال بالمناجاة والتقرب إلى الله لمن هو أهل لذالك الفضل؛ فيسمى ذوق حسب عبارة القوم، فلا يعرف الصبابة الا من عاناها.

وفي الصحيح: «مَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا»

وقال عز وجل: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ (سورة الحديد: 16).

36. رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

وقال سيدي عبد الله ابن الحاج ابراهيم العلوي رضي الله عنه في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

والناس في ذاك لهم مراتب بقدر ما تصفو لهم مشارب
فمن إذا يســـد عينا أبصرا فإن ذا قد فاته من غبـرا

فأهل الطريقة أدركوا ذوق الشهادتين، وهو الذي سبق بيانه بالأذواق الحسية ثم أنهم يشاركون عامة المسلمين في الأذواق التلفظية.

أَطْرِقْ كَرا إِنَّ النَّعامَ في القُرَى ❄ وَصَـــــارِمُ الْحَقِّ يُمَــزِّقُ الْمِرَا
بَلْ شَيْخُنَا حَذَّرَ أَنْ يَتَّكِـــــلَا ❄ عَلَى الَّذِي مِنْ فَضْلِ وِرْدِه انْجَلَى
وَكَمْ تَلَا الْآيَةَ لِلتَّنْفِيـــــــرِ ❄ مِنْ أَمْنِ مَكْرِ اللهِ بِالتَّدْبِيـــــرِ
وَقَالَ إِيَّاكُمْ وَأَمْنُ مَكْـــــرِ ❄ إِلَهِنَا فَهْوَ لِأَهْلِ الْخُسْـــــرِ

وفي ما يخص تشييدهم المساجد والزوايا ؛ فهومعلوم عند العامة والخاصة فزواياهم منتشرة في جميع البلدان و عامرة بأنواع التعاون على البر والتقوى والعبادة وحلقات الأذكار وغير ذلك من وأجه البر.

قوله: أطرق كرى مثل يضرب لمن يفتخر بشيء وفي الحي من هوأجود منه؛ فيقال له أطرق كرى؛ إن النعامة في القرى .

والكرى: قيل انه الكروان وهي رخم، وقيل طائر معجب بنفسه.

والمرا: قال المناوي: "طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه؛ من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير. انتهى من « التاج ». وهذه استعارة تخيلية، لأن الحق له صولة؛ يمزق الباطل، كما يفعله السيف بالضربية". اهـ

وقد حذر شيخنا أصحابه من التواكل والاستناد على الخوارق والأنبهار بالكرامات. وللشيخ في هذا الإطار الكثير من الإنذار والتحذير والتذكير بعدم أمن مكرالله: وكان يقول لأصحابه: (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون " ومن مواعظه وتوجيهاته لأصحابه:" إياكم وامن مكر الله تعالى فإنه سبب خسارة الدنيا والآخرة ". فأين مثل هذا التوجيه والترشيد والأنظار، مما ذهب اليه هذا الجاحد على الشيخ وأصحابه واتهامهم بالاتكالية، والتزمت والكسل؛ مع أن الواقع يثبت خلاف ذالك، فللقوم جهد ملحوظ في العمل الشاق، والجهاد في سبيل الله، واجتهاد ملموس في القواعد الاستنباطية دون إفراط أو تفريط.

إِمْكَانِيَّةُ رُؤْيَةِ الرَّسُولِ يَقْظَةً بَعْدَ وَفَاتِهِ:

وَأَنْكَرَ الْمَغْرُورُ رُؤْيَـــــةَ النَّبِي ❄ يَقْظَةً لِشَيْخِنَـــــا ذِي الرُّتَبِ
وَأَنَّهُ أَعْطَاهُ وِرْدَهُ الَّـــــــذِي ❄ تَضَوَّعَ الْكَوْنُ بِعُرْفِـهِ الشَّـذِي
وَذَاكَ أَمْرٌ صَحَّ بِالْإِجْمَـــــاعِ ❄ عَنْ كُلِّ الْأَوْلِيَا بِلَا نِـــــزَاعِ
مِنْ أَخْذِهِمْ أَوْرَادَهِمْ عَنِ النَّبِيِّ ❄ وَلَمْ يَكُنْ يُنْكِرُهُ إِلَّا الْغَبِـــــيُّ
وَمَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِـــــــــي ❄ حَدِيثُ أَفْضَلِ الْوَرَى الْعَدْنَانِي

قُلْتُ: قد صح حديث: « مَنْ رَآنِى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي». أخرجه الشيخان، وغيرهما من الستة من حديث أبي هريرة وعن جابر بن عبد الله مثله.

وأخرجه مسلم أيضا عن أبي هريرة؛ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقْظَةِ أَوْ فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقْظَةِ؛ لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي» وفي رواية: « مَن رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ».

وأما رؤيته عليه الصلاة والسلام يقظة، فقد أخبر به من الأولياء والصالحين ما كاد يبلغ حد التواتر.

فمن ذلك ما جاء عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الدار، ذكره السيوطى: "فإنه قال لمن دخل عليه: تنظر هذه الطاقة - لطاقة في الدار - قال نعم، قال له: أخرج لي منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجهه. وقال لي: إن شئت نُصرتَ عليهم، وإن شئت أفطرتَ عندنا؟ فاخترتُ الفطر عندهم".

ويحكى أن جلال الدين السيوطى التقى يوما مع المغيلي؛ وكان كلما سأله حديثا، هل هو صحيح أم لا ؟ خرج قليلا، ثم عاد ليقول ما إن كان الحديث صحيح أم لا؛ فقال تلميذ المغيلي له: ما بال هذا الرجل كلما سئل عن حديث خرج ليأتي بالجواب؟ فأجابه أحد الحضور أنه رجل ضعيف البصيرة ، لا يلقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا خاليا؛ وأضاف القائل أنه بحمد الله يلقى الرسول في كل وقت، وحين دون تنقل.

ومن ذلك: ما حكى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أنه لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فأمره أن يخطب في الناس، فأجاب أنه أعجمي؛ فأمره الرسول بأن يفتح فمه، ففتحه فتفل فيه سبع مرات، فلما ارتقى المنبر؛ يريد أن يخطب ارتج عليه، فأتاه علي كرم الله وجهه فقال افتح فاك فتفل فيه ستا، وقال: لم لم تكمل سبعا؟ قال تأدبا مع الرسول عليه السلام. وإلى ذالك ذهب الشيخ محنض بابه رحمه الله تعالى في نظمه.

وقولي:

وَوَصْفُهُ الشَّرِيفُ لَا يُعَـــــانُ ❊ أَنْ يَتَمَثَّل بِـــهِ الشَّيْطَـــــانُ

وَمَنْ رَآهُ فِي الْمَنَامِ سَيَـــــرَاهُ ❊ يَقْظَةً كَمَا الْبُخَـــــارِيُّ رَوَاهُ

أَلَمْ يَسَعْكَ الصَّمْتُ عَنْ إِنْكَـــارِ ❊ مَا لَسْتَ تَدْرِيهِ مِـــنَ الْأَسْرَارِ

إِجْمَاعُ الْأَوْلِيَا حَسِبْتَ يَا كَذُوبُ ❊ عَلَى ضَلَالَةٍ وَأَنَّـــكَ مُصِيبُ

قُلْتُ: لا خلاف بين علماء السنة ان من رآه صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقد رآه حقا لان الشيطان لا يتمثل به، الا ما ذكره القاضي عياض في «الإكمال» قال: "إن معنى ذلك عنده فيمن رآه على صفته التى كان عليها لا على صفة مخالفة".

قال القرطبي: " والصحيح ما ذهب إليه الباقلاني أن من رآه فقد رآه حقا ، رُئِيَ على غير الصفة التي كان عليها" ... إلى أن قال: "لعصمته في المنام من أن يتمثل به الشيطان كما عصم أن يتمثل به في اليقظة".

قال عياض في «الاكمال»: "ولم يختلف في جواز رؤية الله تعالى في النوم حتى لو شوهد في صفة لا تليق به، كرؤيته في صورة رجل؛ للعلم بأن ذلك المرئي ليس ذاته الكريمة؛ لاستحالة صفة الأجسام عليه".

قال القرافي: "إن ادعاه من هو أهله كولي مُتَّقٍ، ويكون ذلك تخصيصا لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾. (سورة الأنعام: 103). قال: وإذا قبل خبر الولي في الكرامة الخارقة للعادة المخصصة للعلوم القطعية، فكيف في تخصيص العموم الذي لا يفيد إلا الظن. قال: وأما ادعاه من ليس من أهله كالعاصي، والمقصر، فإنا نكذبه". انتهى محل المراد من «إكمال الإكمال».

قلت: وقول القرافي: إن قول الولي يقبل في الكرامة الخارقة للعادة المخصصة للعموم، مع سعة علم شهاب الدين القرافي، ومكانته من السنة= لتعلم أن هذا المتطفل المقترح درج في غير مدرجه وانتهج سبيلا غير منهجه.

بَلْ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُصِيبُونَ وَمَــنْ ❄ خَالَفَهُمْ كَانَ بتَخْطِــيءٍ قَمِنْ
أَمَا تَرَى سُنَّةَ خَيْرِ مُضِـــــرِ ❄ قَامَتْ عَلَى يَدِ التِّجَــانِيِّ الْأَزْهَرِ
وَانْتَشَرَتْ بِمَغْرِبٍ وَمَشْــرِقِ ❄ مَا هِيَ بِالدَّعْوَى وَلَا التَّمَشْدُقِ
مَا قَامَتِ السُّنَّةُ بِالْإِنْكَـــارِ ❄ كَلَّا وَلَا النَّقَلَةُ فِي الْأَقْطَـــارِ

قُلْتُ: إن علوم الأولياء - رضوان الله تعالى عليهم - أتت من وجه لا يحتمل الكذب؛ فهي هبة وهبها من يهب لمن أراد ما أراد؛ كما يحكى عن الخضر عليه السلام حين سئل: ترى هل هناك من تغار منه؟ أو بصيغة أخرى من هو أفضل منك في الوجود؟ فأجاب بنعم ، ثم أضاف: أتيت ذات يوم حلقة شيخ يعظ الناس بالعبر والحكم، ويعلمهم من العلوم النافعه؛ فإذا بشاب معتزل عن الجماعة مطاطئ رأسه. فأتيته لأنصحه وأحمله إلى الجادة، فخاطبته بلطف قائلا: لم لا تذهب إلى عبد الغفور؛ فتسمع منه حديث الرسول ؟ فأجاب: أن هناك من يسمع من عبد الغفور، ومن يسمع عن عبد الغفور!؛ فامتحنت مقاله متسائلا: إن كنت كما تقول= ترى فمن أنا ؟ فأجاب في الحين: أنت الخضر.

ومثل هذه المعارف و العلوم يقينية من لدن عليم خبير، فتختلف عن العلوم الظنية التي لاتغني من الحق شيئا ؛ والخضر - عليه السلام - ذروة فيها، وغاية ضرب الله بها المثل. ولذلك تراه متواضعا؛ لايرى في نفسه كبرياء؛ فترى الجبال تحسبها جامدة، وهي تمر مر السحاب. ففي الخبر: (من تواضع رفعه الله)؛ فكانت الخشية والتقوى شيمة القوم، بخلاف أهل الرسوم، والظاهر؛ ممن يسهل لديهم

الإنكار، لما لم يحيطوا به علما، فاستولت عليهم ظنونهم؛ لتحكيمهم عقولهم، فجعلوا إلههم هواهم؛ فأضلهم الله على علم.

وفي الحكمة: علوم الرُّسُومِ أوهام، إذا اقترنت بعلوم الإلهام.

وأما عن انتشار هذه الملة السمحاء، و هذا الدين الحنيف على يد القطب الأكبر، شيخنا ووسيلتنا أحمد بن محمد التجاني - رضي الله عنه-، من حوضه العذب، ومن نبعه الصافي= فأوضح من شمس الضحى؛ كما تقدم في الحديث عنه وعن أتباعه، ومريده. وهو قدويتهم في العمل والبناء وتشييد المعالم من مساجد وزوايا يذكر فيها اسم الله آناء الليل، وأطراف النهار؛ وهي تكتظ بحلق الذكر، يسمع منها دَوِيٌّ يغير منه النحل. وتلك منة من الله خص بها أهل هذه الحضرة فانفردوا به دون غيرهم؛ حتى صارت وظائف يومية وأوراد ملازمة لهم بالغداة والعشي.

وقولى: ما قامت السنة ...إلخ لأن هذا المنكر=ابن مايابى؛ بدعواه بهتانا أنه القائم على السنة، وأن غيره على ضلالة وبدعة، يختلق لنفسه صورة غير التي علم بها بالتواتر عند الخاصة والعامة، من بدء أمره إلى تأليفه هذا؛ من جحود لفضل الله. وتطبع على إذاية أولياء الله الكرام. يحكى أنه أخذ الورد على يد الشيخ ماء العينين؛ ثم عاد لينكر عليه ويسلط عليه لسانه وقلمه بالذم والشتيمة.

ومما يذكر عن الثقات: أن الشيخ ماء العينين تبرأ منه ودعى عليه بالهلاك؛ وقال له: أبعدك الله! فاستجيب دعاؤه عليه والعياذ بالله .

وأخبرني أحد الثقات العدول من الرجال الصالحين، من إجرامه، وسوء تصرفه، و قتله بمعية أبيه، أخاه ظلما، وجورا، وحسدا منهما؛ لما أوتي من العلم والحكمة: فما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله. ويضاف إلى تصرُّفات المنكر السيئة وسلوكه الشاذة، أنه درس عند أحد أبناء عمه، وهو ابن احمد زيدان ، ولم يلبث

أن خرج عليه بالإذاية؛ فتوجه إلى عالم آخر من آل محمد بن محمد سالم وفعل فعلته المعتادة معه؛ ومن ثم انتقل إلى الشيخ ماء العينين الذي تقدمت قصته معه.

فكانت خاتمته سيئة بسببه خاتم الأولياء؛ سلالة الدوحة الطاهرة، وارث جده؛ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه ونفعنا به.

اللهم ، إنا نسألك حسن الخاتمة لنا وللمسلمين.

وبلغنا أن المنكر أرسل ذات مرة إلى قاضي" بتلميت" سيدي محمد بن داداه وهو حائر يطلب منه الدعاء؛ أن يثبته الله في محل؛ فإنه ما نزل بحي من أحياء المسلمين إلا طرد حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت.

ومما عابه به بعض أنصار الشيخ، قتله لأخيه، فيقول محمد بن محمد المختار فى قصيدة منها

لو لم يكن فيه إلا ما تحمله من قتله الأخ ظلما كان يكفيني

وفي قصيدة أخرى:

قَدْ رام يكشف سوءاتى وسوءته في ســـوءة من أخيه ما يواريها

يا ليته بعث الله الغـــراب له كيـــلا يحيد بشيء عن مجاريها

أو ليتـــه نادمـــا مما تحمله من وزره فجرى في العين جاريها

وغير ذلك من القصائد الرادعة من نفس الموضوع.

وَلَا التَّوَاضُـــعَ لِكُـــلِّ مَلِكِ ❄ مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ فَاسِقٍ مُنْتَهِكِ

شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمَطَـــالِبِ وَمَـا ❄ بَيْنَ الْمَقَامَـــاتِ وَمَا وَمَا وَمَا

هَلْ أَنْتَ إِلَّا كَبَعُوضٍ وَقَعَـــا ❄ بِقِنَّةِ الشَّامِخِ هَلْ تَضَعْضَعَا

مِنْ ذَلِكَ الشَّامِخِ أَوْ تَدَكْدَكَا ❄ سِيَّانِ قَامَ فِيـــهِ أَوْ تَحَـــرَّكَا

وقولى: شتان: لان سعيه القريب ومطلبه الداني والوسيلة المنحطة التي استعملها تجعل التفاوت بين الوسيلة والغاية في الإنكار على أولياء الله تعالى شاسعة؛ فجعل منها أغنية يتنقل لها في أنحاء البلاد؛ يطبِّلُ لها؛ فيشتهر بكل أسف لوقاحته؛ ثم يتقرب إلى الملوك من خلالها؛ فيتوسل بهم.

وأما المقامات فلا يقاس بعضها ببعض؛ لأن المفضول لم يشارك الفاضل في الأفضلية.

ويحكى أن عصفورا وقع على شجرة، فلما أراد الطيران قال لها: استمسكي ياشجرة فاني أريد أن أطير، فأجابت بسخرية : كيف يشق طيرانك على من لم يعلم بهبوطك.

رُؤْيَةُ النَّبِيِّ حَقِيقَةٌ مُجَرَّبَةٌ:

وَرُؤْية النَّبِيِّ بِالْعِيَـــــانِ ❊ أَتَتْ عَـــنِ الصُّوفِيَّةِ الْأَعْيَانِ
كَالْجِيلِيِّ وَالْإِمَامِ الشَّـــاذِلِيِّ ❊ وَابْنِ أَبِي جَمْرَةَ ذِي الْفَضَائِـلِ
وَجَعَلُوهَا مِنْ كَرَامَـةِ الْوَلِيِّ ❊ وَرُبَّمَا أَنْكَرَهُ الْمُعْتَـــــــزِلِيِّ
وَالْأَخْذُ مِنْهُ ذَكَرَ الْغَـــزَالِيِّ ❊ فِي مُنْقِذِ النَّاسِ مِـــنَ الضَّـلَالِ

قُلْتُ: رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقظة حقيقة أخبرت به الصوفية وفحول الأولياء كالشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ، فقد نقل في «تنوير الحلك» عن الشيخ سراج الدين أنه ذكر في «طبقات الأولياء» قوله: (رأيت سول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الظهر، وقال لي: يا بني ألا تخطب في الناس ...) كما تقدم القصة.

قال السراج ابن الملقن فى ترجمة الشيخ خليفة: "أنه كان كثير الرؤية له صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما ؛ فكان يقال عنه: إن أكثر أفعاله ملاقاته عليه السلام!. ورآه في ليلة سبع عشرة مرة. قال له في إحداها: يا خليفة: لا تضجر منى فإن كثيرا من الأولياء مات بحسرة عدم رؤيتي".

وكذلك الشيخ عبد الغفور بن نوح، وكان يخبر أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل ساعة، وغيرهم ممن يؤخذ كلامهم على محمل الجد، والصدق، وهم كثر كالجيلي، والشاذلي...

وقد ذكر الشيخ الإمام حجة الإسلام في كتابة «المنقذ من الضلال» : أن أرباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة و الأنبياء ، ويسمعون منهم ويقتبسون فوائد.

وعن الشيخ أبى السعود، قال : كنت أزور شيخنا أبا العباس وغيره من علماء مصر في أول السير. فلما انقطعت، وفتح علي، لم يعد لي شيخ سوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبر أنه كان كان يصافحه بعد كل فرض.

وفى «المستصفى»: واعلم أن الكلام إما أن يسمعه نبيٌّ أوملك من الله تعالى أو يسمعه نبي أو وليٌّ من ملك.

وعن الشيخ أبى منصور فى رسالته مثل ذلك.

وعبارة بن أبى جمرة ، قد ذكر عن السلف والخلف ممن يصدقون بهذا بالحديث : (مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقْظَةِ) أنهم رأوه صلى الله عليه وآله وسلم في النوم أولا؛ ثم رأوه في اليقظة، وسألوه عن أشياء معضلة؛ فأخبرهم بتفريجها و الوجوه التى يتم بها فكان كما قال.

والمنكر للرؤية لا يخلو من أحد أمرين: التكذيب بكرامات الأولياء ، أو بفحوى الحديث الصريح؛ فإن كان التكذيب بالحديث فلا داعي إلى البحث معه، لأنه رد لما جاء في السنة بالدلائل الثابتة.

وإن كان التكذيب بالأولياء وما أوتوا من كرامات ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قال ابن الحاج في «المدخل»: "قد أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقظة وعللوها بأن العين الفانية لا ترى العين الباقية، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم في دار البقاء و صاحب الرئ في دار الفناء".

وقال سيدي أبو محمد بن أبى جمرة: "يحل هذا الاشكال ويُرَدُّ بأن المؤمن إذا مات يرى الله، والله حي لا يموت، والواحد منهم يموت في كل يوم سبعين مرة".

قال الشعراني في «لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية»: فان أكثرت من الصلاة والسلام عليه؛ فربما تصل إلى مشاهدته صلى الله عليه وآله وسلم، وهى طريق الشيخ نور الدين التونسي ، والشيخ أحمد الزواوي ، والشيخ محمد بن داود المنزلاوي وجماعة من مشايخ العصر؛ فلا يزال احدهم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير ويتطهر من الذنوب ، حتى يجتمع به يقظة في أي وقت شاء.

وذكر العارف بالله سيدي أحمد سكير ج في كتابه «طرق المنفعة» ، أن أحد علماء المغرب أنكر على الغزالي مقالاته وحرق كتابه إحياء علوم الدين ، فرأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وهو معرض عنه؛ ثم أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالتجريد من ثيابه، و أمر بضربه بين يديه بسياط؛ فاستيقظ الرجل من نومه، فوجد أثر السياط على جوانبه، ولم يزل ذلك عليه؛ حتى وافاه المنون، وكان قد عاد عن موقفه القديم، وأمر باعادة كتابة إحياء علوم الدين بماء الذهب .

وذكر الرجل أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يباهى بالإمام الغزالي أمام نبي الله عيسى عليه السلام، إلى أن حرك منكب الغزالي. وقال لعيسى: هل في قومك حبر بقدر الغزالي ؟ فأجاب بالنفي؛ وكفى بهذا شرفا.

وَقَالَ فِي ذَاكَ مَحَنَّضٌ بَابَـــــهْ[37] ❄ عَالِمُ ذَا الْقُطْرِ بِلَا غَرَابَـــــهْ
وَلَمْ تَزَلْ أَقْطَابُ الْأَوْلِيَـــــاءِ ❄ تَأْخُذُ عَنْ إِمَامِ الْأَنْبِيَـــــاءِ
بَعْدَ وَفَاتِهِ عُلُومَ السِّـــــرِّ ❄ كَالشَّاذِلِي فِي أَخْذِ حِزْبِ الْبَحْرِ
وَصَافَحَ السُّيُوطِي عِنْدَ الْقَاهِرَهْ ❄ بِيَدِهِ يَدَ النَّبِيِّ الطَّاهِـــــرَهْ

وأما ما يناله الأولياء من النبي، من أنواع العلوم الجمة والأسرار الزكية : فمنهل مشترك بينهم جميعا، ومن ذلك أورادهم وطرقهم؛ مما لا يخلو من أمرين:

-إما أن تكون طرق المشايخ اخذت بسلاسل تتصل به عليه السلام قبل وفاته؛ مع أن الصحابة رضوان الله عليهم ما ثبت عنهم طرق منقولة بهذه الصفة.

- وإما أن نقول أنهم أخذوها عنه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام؛ وهو ما يتفق مع أصله الذي أسس عليه؛ لأن الشيخ أبا الحسن الشاذلي إمام الطائفة الشاذلية، هو الذي أخذ حزب البحر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما ذكره محنض بابه صاحب «الميسر».

وأما ملاقاة الإمام السيوطي للرسول عليه السلام، وتصحيحه للحديث فهو مشهور عند جمهور العلماء؛ فيذكر أن رجلا أتاه يسأله وساطة عند السلطان"قايتباي" فأجابه أنه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة يقظة، ومشافهة! و لولا خوفه من احتجابه بسبب دخوله الولاة لاجتاز القلعة، وتوسَّط له عند السلطان ... إلخ.

وقد مر ذكر قصته مع المغيلي؛ واشتهر عن كثير من الأولياء أنهم كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و هم أمناء؛ مصدقون في قولهم؛ كالشيخ إبراهيم الدسوقي، وسيدي جلال الدين السيوطي، والزواوي، والمرسي، وأبي مدين، وأبي السعود، وعبد الرحيم، وغيرهم؛ مما يجعل إنكار ذلك سفسطة.

37. محنض باب ابن اعبيد [1771– 1860 م] علامة شنقيط الشهير، انتفع من علمه خلق كثير، وخلف آثارا باقية من بعده.

نُزُولُ صَلَاةِ الْفَاتِحِ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى:

ثُمَّ افْتَرَى أَيْضًا كَـــذَا وَزَوَّرَا ❄ وَأَنْكَـــرَ الْحَـــقَّ بِمَا قَدْ أَنْكَرَا
أَنَّ صَلَاةَ فَاتِـــحٍ قَدْ وَرَدَتْ ❄ مِنْ حَضْرَةِ الْغَيْبِ لِمَنْ لَهُ بَدَتْ
وَأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ خَـــالِقِ الْبَشَرْ ❄ وَقَالَ كَيْفَ الْوَحْيُ بَعْدَ مَنْ غَبَرْ
وَكُلَّمَا أَنْكَرَهُ لِلْبَكْـــــــرِي ❄ قَبِلْ وَخَصَّ شَيْخَنَـــــا بِالنُّكْرِ
فَبَانَ أَنَّ نُكْرَهُ نُكْرُ حَسَـــــدْ ❄ لَا مَا ادَّعَى فِي النُّكْرِ أَنَّهُ قَصَـــدْ

وقد أطال واعتقد هزلا أنه لاقى ضالته المنشودة، فأخذ يدندن، ويهرول عند ما وقف على صيغة الصلاة على النبي المختار المعروفة بـ (صلاة الفاتح) لما أغلق أنها من الملأ الأعلى على طبق من نور، ولقلة حظه من العلم طار فرحا وصاح، وناح، كأبي جهل عند ذكر الإسراء، وما دار بمشيئة الله في تلك اللحظة؛ فارتبك المنكر كما ارتبك قبله أبو جهل؛ فما علم الجاهل الجديد أن المقولة، والصيغة قديمة؛ سبقت الشيخ التجاني، فهي للإمام البكري نصا، وحرفا، والشيخ رضي الله عنه إنما أنتظرته صلاة الفاتح لتنتشر بيده الكريمة...

فصلاة الفاتح أول من نزلت عليه الإمام البكرى، وقال: إنما نزلت عليه في رقعة من نور من الغيب.

فأي مانع من الكتاب والسنة أو ماجاء به السلف يمنع من هذا التصريح؛ فالمنكر ليس حجة ولا محجة، فإجماع الأولياء الصَّالحين؛ -كما سلف ذكره- قائم على أن المنح الإلهية، والتحف الربانية ثابتة.

ثم إنه صرف المسألة عن الإمام البكري مصدرها، وتوجه به إلى شيخنا رضى الله تعالى عنه. ألجهل منه أولشدة نقمته على شيخنا رضى الله تعالى عنه ؟!

أما علم أن لسان حالنا يقول للشيخ رضى الله تعالى عنه.

فكيف يجوس الذيب أرضك خلسة وأرضك ملأى بالأسود الضراغم.

ويقول:

فنحن عبيد الدار حقا ولم نزل نوالي مواليها ونحرس بابها

ثم نردد مرة أخرى مع القائل:

إن تلقني تلق مقداما أخا ثقة يحمي الذمار غداة الروع والبأس

فقد تبين للمتتبع لما عرضنا أن إنكار المنكر، قائم على حقد بلا مبرر، فينسج من خياله ما يحلو له:

وَالْأَوْلِيَا مِنْ سَلَفٍ لِخَلَـفِ ❊ تَوَاطَؤُوا كَمَا أَتَى فِي الصُّحُفِ

عَلَى ادِّعَاءِ رُتْبَةِ الْكَـــلَامِ ❊ مِنْ رَبِّنَا وَرُتْبَـــــةِ الْإِمَامِ

وَقَدْ تَبَايَنَ مَقَـامُ النِّسْبَتَيْـنِ ❊ عِنْدَهُمْ وَصَحَّتَا عَلَـى يَقِينِ

وَأَيْنَمَا خَاطَـبَ رَبُّنَا الْعَلِيِّ ❊ بِهِ الْإِمَامَ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَـــلِ

إِذْ صَحَّ أَنَّ أَحْمَـــدًا سَأَلَهُ ❊ عَنْ خَيْرِ مَا بِهِ التَّوَسُّلُ لَـــهُ

وَثَبَتَ الْجَوَابُ بِالْكَـــلَامِ ❊ وَهْوَ كَلَامُ رَبِّنَا الْعَـــــلَّامِ

فهذا الأسلوب معروف عند القوم لا يتجاهله إلا من لديه نية مبيتة أوكا ن جاهلا بعلوم التصوف ومقالات رجاله، ولو اختلفت مشاربهم لان منبع الأولياء متصف به ، من اجله قال احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه انه : رأى الله في النوم فقال يا رب ما أفضل ما يتوسل به اليك المتوسلون ؟ قال كلامي .

قال يارب بفهم أو بغير فهم ؟ .

فأجاب : بفهم او بغير فهم .

وكما مر من إخبار الرجل الذي قال للخضر عليه السلام هناك من يسمع من عبد الغفور وهنا من يسمع عن عبد الغفور .

ونجد العبارات والمقولات متعددة في أحاديث الأولياء رضي الله عنهم وكما قال الشيخ محمد معصوم أحد مشايخ الطريقة النقشبندية : لما فرغت من طواف الوداع جاءني ملك بكتاب قبول الحج من رب العالمين .

واما الإلهام فهو كثير التداول في حديث القوم ،فتجد جل تلويحاتهم وعبارات تدور في هذا المنوال: كـ (وقع في قلبى، ونوديت فى سري، وأخبرت)؛ ومنه ما يحكى عن السهروردي انه كان في يوم عرفة ، وراى الناس تقتدي بافعاله في مناسكها فقال في نفسه يا ترى ، هل انا عند الله بهذه المثابة ؟ فنودي في سره.

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومن ذلك ما يحكى عن بعضهم أنه مد رجله يوما فنودي فى سره أهكذا تجالس الملوك ، فما مد- بعد ذلك - رجله، والأمثلة في هذ المجال كثيرة.

هَلْ جَاءَ أَنَّ أَحْمَدَ قَدِ ادَّعَـى ❄ وَحْيًا بَـدَا أَوْ كَانَ مِنْهُ ابْتَدَعَا

لَكِنْ جَهِلْتَ مِنْ كَلَامِ الْعُلَمَا ❄ مَا يَهْتَـدِي بِهِ وَآثَرْتَ الْعَمَى

أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الْحِرْمَـــانِ ❄ مِنْ هَدْيِهِ وَمُوجِبُ الْخُسْرَانِ

قُلْتُ: معقبا على إتهامه الخطير لشيخنا رضي الله عنه أنه ادعى الوحي، ولم يقل مثل ذلك عن أحمد بن حنبل فيما ذهب اليه من المكالمة، فهذا المنكر زينت له قرينته إفراد الشيخ بنكره؛ بموجب شقاوة أزلية قدرها الله تعالى عليه، ولا عذر له في ذالك بالجهل،بل حب الرياسة والشهرة وهو متصف بكلتيهما.

وقولي:

وَأَنْكَرَ الْغَبِيُّ مَا قَدْ أَخْبَـــرَا ❄ إِمَامُنَا عَنْ جَدِّهِ خَيْـــــرِ الْـــوَرَى
مِنْ أَنَّهُ طَائِفَةٌ مِنْ صَحْبِـــهِ ❄ تَفُوقُ الْأَقْطَابَ بِفَضْلِ رَبِّـــــــهِ
وَذَاكَ أَمْرٌ مَا نَفَاهُ مَانِـــــعٌ ❄ وَفَضْلُ رَبِّنَا الْكَرِيمِ وَاسِـــــــعٌ
وَقَدْ عَزَاهُ لِلنَّبِي مُصَرِّحًـــا ❄ مِنْ كَشْفِهِ أَوْضَحُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى

قُلْتُ: وهذا أيضا لا مجال فيه للإنكار، ونما يدخل في باب تحدث ولي بالنعم شكرا؛ ولم يتعدذلك إلى أمر منهي عنه أو محرم؛ كمسألة الأفضلية على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، والأنبياء والملائكة المقربين، مع الخلاف الوارد في أمر الملائكة، لما ورد في ذلك من أثر. فلو كان العلم والانقياد للشريعة منجاة من الأنكار، والمنكر لنجا منه من لم يعترض إلى أمر حجرته الشريعة؛ أما لفظ الأقطاب: فاصطلاح صوفي، عُرِفَ بعد القرون الثلاثة المقطوع بتفضيلها جملة لا تفصيلا؛ على ما بعدها، ثم أن الإمر إذا لم يرد فيه مانع من الشرع، يبقى على البراءة الاصيلة كما سبق ؛ مع أن الشيخ رضي الله عنه أخذه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هوصادق مصدوق فيما يقول.

وَرُبَّمَا قَالَتِ أَكَابِرُ الرِّجَـالِ ❄ فِي صَحْبِهِ مُصَدِّقًا لِذَا الْمَقَالِ
كَمَا حَكَى الْجِيلِيُّ عَنْ أَتْبَاعِهِ ❄ بَيْضَتُهَا بِالْأَلْفِ لِاتِّسَـاعِـــهِ
وَقَالَ لَيْسَ فَرْخُنَا يُقَـــوَّمُ ❄ وَلَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ مَا يُنْقَـــمُ

وهذه عادة الأولياء رضوان الله عليهم لأنهم يتحدثون بما أنعم الله عليهم به،ولم يتعدوه إلا ما منعه الشارع ولا يجحده الا منكر حسود للأولياء، ولا يتطاول عليهم ألا من أراد الله به سوءا والعياذ بالله من الانزلاق، فعروضهم مسمومة؛ لا ينجوا المتعرض لها من الهلاك، ومايعلم جنود ربك إلا هو.

تنبيه

إن الإنكار ليكون في محله ينبغي أن يكون قاصراعلى الأحياء، وفي حدود الشرع؛ لتكون لهم فرصة التوبة والأوبة قبل فوات الأوان. أما الأموات فإن العلة التى شرع لها التكليف زالت بموتهم فيقال فيهم: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت. ومن باب أحرى شتمهم وسبهم ، فإن خلفوا من يتمذهب بمذهبهم فالحكم مقصور على الاحياء منهم؛ والانتقاد يوجه إليهم دون غيرهم.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى رضي الله عنه في أصحابه، مثل ما قال الشيخ التجاني رضي الله عنه إن البيضة منهم بألف؛ والفرخ لايقوم، وما أنكر عليه لأنه لا مدخل للمنكرين فيه؛ إذ لم يتعدَّ فيه حد من حدود الشرع.

مَقُولَتُهُ: "قَدَمَايَ هَاتَيْنِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ ":

كَذَاكَ قَوْلُهُ بِأَنَّ قَدَمَيْـــــهِ ❄ فَوْقَ رِقَـابِ الْأَوْلِيَا سُبِقَ فِيهِ
مِنْ قَبْلِهِ الْجِيلِي لَكِنْ أَفْــرَدَا ❄ قَدَمَهُ وَذَاكَ عَنْـــــــهُ وَرَدَا
فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِجَهْلٍ ذَمَّا ❄ بِالنُّكْرِ شَيْخَنَا وَمَا تَرَبَّـــصَا
أَمْ حَسَدٍ وَكُلُّ ذَيْنِ مُوجِـبٌ ❄ يَقُودُهُ إِلَى الـرَّدَى وَسَبَـــبُ
كَمَا ادَّعَى مِنْ جَهْلِهِ الْمُرَكَّـبِ ❄ أَنَّ الْعُمُومَ شَامِـلٌ كُـلَّ نَبِـيِّ

وأما قول شيخنا رضى الله عنه: إن قدميه على رقبة كل ولي لله، فليس فيه أيضا محل إنكار؛ لأن الممكن الذي لم يمنعه مانع لا سبيل لإنكاره، سيما إذا تأتى من الأولياء.

والمسألة بعينها قال بها الشيخ عبد القادر الجيلانى، إلا أنه أفرد قدمه، ولم يذكر قدميه؛ و لم تنكر عليه فلو كان ما قاله المنكر حقا من أنه يريد احياء السنة

لأنكر على الشيخ عبد القادر الجيلاني، فاذا كانت العبارة ممنوعة شرعا فقد تستوى فيها مع الشيخ ،وان كان لايجوز انكارها فحين اذن قد أنكر ما لا ينكر.

وقولي:

إِذْ قَدْ تَعُمُّ لَفْظَةُ الْـوِلَايَـــــهْ ❄ جَمِيعَهُمْ وَأَخْطَأَ الْهِدَايَـــــــهْ

لِأَنَّمَا عُرْفُ لِسَانِ الْعَـــــرَبِيِّ ❄ يُخَصِّصُ الْعُمُومَ طُرًّا يَـــا غَبِيُّ

أَلَمْ تَجِدْهُمْ عَطَفُوا الْجِنْسَ عَلَى ❄ جِنْسٍ يُغَـــــايِرُ الَّـذِي لَهُ تَلَا

أَلَيْسَ قَدْ شَاعَ بِكُتُبِ الْعُلَمَـاءِ ❄ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ يَا ذَا الْعَمَى

وَتَشْمَلُ الْوِلَايَةُ الصَّحَابَـــــهْ ❄ والْعُــرْفُ خَصَّهُمْ وَلَا غَرَابَهْ

فاتضح مجددا أن القصد ليس من أجل تبيان الحقيقة؛ لأ ن الدعوة لوجه الله تستند إلى الإنصاف والموضوعية؛ خلاف الشتم، والذم، والسب، والفرية، وقصد شخص بعينه؛ وسبق ذكر دوافع هذا المنكر، وتصرفاته المنحطة.

وكما يقول الشاعر:

واحسده فهو على علاه شاهد إن الكرام مظنـــة للحسد

بسناء عينك اغشيت وسنائه والشمس باهرة لعين الارمد

وقد ادعى من أباطيله: أن لفظة الأولياء تشمل جميع الأنبياء؛ فخلط المنكر بين الخاص والعام؛ ليوهم أن الشيخ أدخل الأنبياء في العموم، وهذا خلاف ما جرى عليه لسان العرب؛ لأن الأصل في اللغة أن مدلول الكلمة في معناه الذي يؤدي إليه. وفي الاصطلاح فرق بين الأنبياء والأولياء؛ إذ أن الخاص لا يشمل العام. و إن كان العام يشمل الخاص: فكل نبي ولي وليس كل ولي نبيا، كما أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، فالتداخل لايمنع التفارق، ولا التفاوت؛ فالرسول هو وحده الذي يجمع هذه الصفات الثلاثة، ليكون رسولا و نبيا ووليا، ودونه النبي

الذي يجمع صفة النبوة والولاية؛ ليصبح كل نبي وليا؛ في نفس الحين، وينفرد الولي بصفة الولاية؛ فلانبي بعد خاتم الأنبياء.

فالمسألة محلولة عرفا وشرعا؛ فالأنبياء والرسل معلومون بالكتاب والسنة، وتعاليم الشرع فلا يختلف فيها اثنان إلا جاهل أو معاند. وفي العرف: فإن لفظ وعبارة الولي يفهم منها: رجل صالح بلغ منزلة من العلم والتقوى والورع وخصه الله بفضله بكرامات وخوارق ما لم يتح لغيره، ولا يملك حق التحدى بها، لا تلميحا ولا تصريحا.

وقولي:

وَنَصَّ شَيْخُنَا عَلَى تَخْصِيـــصِ ❄ جَمِيعِهِمْ بِلَفْظِهِ الْمَنْصُـــــوصِ
وَكَمْ عُمُومٍ وِبِهِ الْخُصُـــوصُ ❄ أُرِيدَ قَدْ جَاءَتْ بِهِ النُّصُـــوصُ
مِنْ ذَلِكَ التَّدْمِيرُ فِي قِصَّةِ عَـادٍ ❄ كُلِّيَّةٌ عَادٍ بِهَا هُمُ الْمُـــــــرَادُ
وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهْيَ لَمْ ❄ تُـؤْتَ الَّـــذِي لَهُ سُلَيْمَانُ العَلِمْ
وَغَيْرُ ذَا مِمَّا أَتَتْ بِهِ الْعُلُـــومُ ❄ مِنْ كُلِّ مَخْصُوصٍ أُرِيدَ بِالْعُمُومِ

قُلْتُ: ومن تأمل اصطلاح العرب في كلامهم، وما نزل به القرآن الكريم من الخاص الذى أريد به العام، والعام الذى أريد به الخاص، علم أن هذا الرجل متحامل على ما لا حجة له فيه، وتبين أنه إما جاهل بما لاتجهله العامة في الاصطلاح اللغوي؛ أو أعمى البصيرة لا يهتدي بشمس الظهيرة: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾. (سورة النور: 40) لأنه من عمي البصيرة؛ فمن العام الذى اريد به الخاص: قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾. سورة الأحقاف: 25). فإن الريح ما دمرت إلا قوم عاد الذين أرسل عليهم العذاب.

وقوله عز وجل: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾. سورة النمل: 23). في قصة بلقيس، فإنها لم تؤت الذي أوتي سليمان عليه السلام من سعة الملك والريح والشياطين المسخرين له.

فالكل لا يتناول عموم جزئياته؛ ومن ذلك - قوله عليه والسلام: « مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»[38]، فهذا العموم لا يتناول الأنبياء - عليهم السلام-؛ لأنهم معصومون. وهذا بحر لا ساحل له، فلا نطيل فيه؛ إذ هو مقتضى اصطلاح العرب.

فَلَا نُطِيلُ بِالنُّصُوصِ الْـوَارِدَهْ ❄ فِي ذَاكَ إِذْ لَيْسَ بِـذَاكَ فَائِـدَهْ
لِأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ لِلْجُحُـــودِ ❄ لَا يَهْتَدِي بِسُورَةِ الْعُقُـــودِ
كَلَّا وَلَا بِمُحْكَمَاتِ السُّـــوَرِ ❄ جَمِيعُهَا لِأَنْفَـــــةِ التَّكَـبُّرِ
وَذَاكَ فِي الْمَخْصُوصِ مِمَّا أُجْرِيَا ❄ فَلَمْ تَكُنْ تَدْخُلُ فِيهِ الْأَنْبِيَـــا
وَلَا الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ النُّجَبَـــا ❄ فَالْعُرْفُ عَنْ إِدْخَالِ ذَيْنِ قَدْ أَبَى
جَهِلْتَ أَنَّ اللهَ جَلَّ يُعْطِـــي ❄ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ بِغَيْرِ شَـــرْطِ
لِذَاكَ بَادَرْتَ إِلَى الْإِنْكَـــارِ ❄ عَلَى إِمَامِ الْأَوْلِيَـــا الْأَبْـــرَارِ

قُلْتُ: لا شك أن الإنكار على ولي من أوليائه تعالى على غير وجه حق، و لغير ارتكاب محظور، ولا مصادمة نص من الكتاب والسنة ، جهل، وظلم جسيم، سيما أن المقصود والمستهدف قطب من أَجَلِّ الأقطاب العظام.

38. رواه الإمام أحمد في مسنده.

ويحكى أن ابن اللبان وقع في حق سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، فسلب القرآن والعلم منه؛ - نعوذ بالله تعالى من ذلك-؛ ولم يعد أحد من الأولياء بقادر على أن يعيده إلى سيرته الأولى؛ حتى استغاث بسيدي أحمد؛ فأشترط عليه التوبة، ثم عفا عنه؛ فرد عليه ما سلب منه.

كما حصل مثله لبعض القضاة في حق إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه فكتب إليه الشيخ هذه الأبيات وهي:

سهام الليل صائبة المراد إذا وترت بأوتار الخشوع
يقومها الى المرمى رجال يطيلون السجود مع الركوع
بألسنة تهمهم في دعاء بأجفان تفيض من الدموع
إذا أوترن ثم رمين سهما فما يغني التحصن بالدروع

ففلما وصلت إلى القاضي أخذ يقرؤها؛ فلما وصل إلى قوله إذا أوترن ثم رمين سهما... خرج سهم من الورقة فدخل في صدره؛ وخرج من ظهره فوقع في حينه ميتا. نسأل الله السلامة والعافية. انتهى.

والإنكار على أهل الله سمٌّ زعاف وسيف قطاع - صاننا الله تعالى عن ذلك-. وقد كان سيدي علي بن وفا رضي الله عن شيخنا وعنه - يقول : "التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم، والإنكار عليهم سم ساعة في إذهاب الدين، وربما خرج المنكر بسببه عن الملة، ولاعاد حتى وافاه المنون، فعاقبة الإنكار وخيمة؛ لأن كلام الأولياء على بينة من ربهم؛ مهما اختلفت مشاربهم؛ إذ لا تلحقهم شبهة ولا ريبة.

هَلَّا اشْتَغَلْتَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَا ❊ عَنْ سَبِّ شَيْخِنَا فَبُؤْ بِنَحْسِكَا
نَعَمْ بِرَغْمِ أَنْفِكَ الْمُرْغُومِ ❊ فَالشَّيْخُ قَدْ فَاقَ جَمِيعُ الْقَوْمِ
مِنْ جُمْلَةِ الْأَقْطَابِ وَالْأَبْدَالِ ❊ تَفَضُّلًا مِنَ الْكَرِيمِ الْعَالِي
فَبُؤْ بِخُسْرَانٍ وَبِالْحِرْمَانِ ❊ وَبِالضَّلَالَةِ مَدَى الْأَزْمَانِ

ومن عبارات القوم طوبى لمن اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره؛ وعن سيدي محمد المغربي رضي الله عنه - انه قال : اذا اراد الله ان يسلب ايمان عبد سلطه على ولي من اوليائه فيؤذيه معترضا على ما يصدر منه من الهام وأسرار لدنية ؛ قيل في «الطرائف والتلائد»: "و قد جربنا فلم نجد فقيها أونحويا ينكر على الصوفية؛ معجبا بعلمه إلا وأهلكه الله تعالى بعاقبة وخيمة". وقال ابن حجر: "واحذر من الإنكار، فإنه يوقع المنكر في العثار، وكن حسن الاعتقاد تكن على غاية من الازدياد.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: "من وقع في عرض ولي ابتلاه الله بموت القلب". إلى غير ذلك من كلام العلماء العالمين والأولياء العارفين.

خَتْمِيَّةُ الشَّيْخِ التِّجَانِيِّ لِلْأَوْلِيَاءِ مَقَامٌ ثَابِتٌ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ:

وَمِثْلُ ذَاكَ مَا بَدَا مِنْ نُكْرِهِ ❊ عَلَى إِمَامِنَا عَظِيمٌ قَدْرُهُ
مَنْ أَنَّهُ قَدْ نَالَ كُلَّ مَرْتَبَهْ ❊ لِلْأَوْلِيَاءِ السَّادَةِ الْمُهَذَّبَهْ
قَدْ أَنْكَرَ الْغَبِيُّ أَمْرًا وَقَعَا ❊ لِكُلِّ قُطْبٍ قَدْرُهُ قَدْ رُفِعَا
فَكُلُّ قُطْبٍ يُدَّعِي كُلَّ مَقَامٍ ❊ لِلْأَوْلِيَا وَالشَّيْخُ فَازَ بِالْخِتَامِ
وَلَيْسَ مَنْعُ جَاهِلٍ بِمَنْعِ ❊ مَا لَمْ يَرِدْ مَنْعٌ لَهُ فِي الشَّرْعِ

قُلْتُ: وقول شيخنا رضي الله عنه أنه نال جميع ما للأولياء من المراتب العلية والمقامات السنية؛ لا مدخل لهذا المنكر فيه فهو حظيرة؛ لاناقة له فيها ولاجمل-؛ فالحديث خاص بالقوم، وليس هذا عشه؛ فالكمل من الأولياء يدركون علوم الشيخ الجبلية التى أعطاه الله النزر القليل؛ فضلا عمن عداهم من المدعين للعلوم الرسوم.

وقد صرح كثير من الأولياء أنهم أعطوا مالم يعط غيرهم ولكن الفيصل الفاصل والحكم العادل: أن يذعن أهل المقامات لشيخنا رضي الله تعالى عنه بتصديق مقولاته ؛ فمنه ما ذكره ابن العربي الحاتمى قبل ظهور الشيخ بزمن طويل حين قال: (رأيته في فاس مبتلى بالإنكار عليه)؛ فجعلها ربي حقا؛ رؤيا جاءت كفلق الصبح ،

وكما سبق القول فلامانع شرعيا من كل هذه المقالات الجلية.

يقول الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه -، (رَحم الله امرءًا عرف نفسه ولم يتعد طوره).

وقولي:

لَا سِيَّمَا وُجْدَانُ أَمْرٍ مُمْكِـنٍ ❄ مِنْ فَضْلِ رَبِّنَا عَظِيمِ الْمِنَـنِ

وَشَيْخُنَا مَا قَالَ إِلَّا مَا رَوَى ❄ عَنْ جَدِّهِ وَلَمْ يَقُلْهُ عَنْ هَـوَى

وَذَكَرَ الْجَهُولُ فِي مَكْتُوبِـهِ ❄ أَخْبَثُ مَا قَدْ قَالَهُ مِنْ حَوْبِـهِ

أَنَّ الْوَلِيَّ لَا يُسُوغُ النُّكْـرُ ❄ عَلَيْهِ وَالْإِيذَا لَهُ وَالْغُمْـرُ

لَمْ يَدْرِ أَنَّ ذَا كَـلَامٌ نَطَقَـا ❄ بِـهِ لِسَـانُ الْحَـالِ لَوْ تَحَقَّقَا

قُلْتُ: فاتضح مما هو مليءٌ في بطون الكتب، وذكرنا منه على سبيل المثال ما ذكرنا مما يؤكد أن الممكن الذي ما تعرضت الشريعة بمنعه لا يجوز أنكاره، ثم أن منكره لا يخلوا من أحد أمرين: أماجاحد أو عدو حاسد ، ثم أن شيخنا رضي الله تعالى عنه أخذ كل هذا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أعجب العجائب أن المنكر متناقض مع نفسه إذ نجد في كتاب إنكاره يقول: "**أن الولي لا يسوغ الإنكار عليه، ولاتجوز إذايته!**".

وياترى هل المنكر علم من عند الله أن الشيخ التجاني ليس بولي أم جهل ذالك أيضا، أم أعتبرأن الذي هو فيه ليس بأنكار و لابأذاية ،أم افتراض ثالث وهي أن الحكمة الألاهية نطقت على لسانه لما أطال اذايته للشيخ فكشفت الحقيقة الجلية فوقعت حجته عليه.

وقولي:

مُنَاقِضًا مَا قَالَهُ بِأَسْـــــــرِهِ ❄ وَذَاكَ قَوْلٌ فَاضِحٌ لِأَمْـرِهِ
أَنْطَقَهُ اللهُ الَّذِي قَدْ أَنْطَقَـــا ❄ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ فَأَبْدَى زَلَقَا
لِسَانِهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ لغَطَـــــا ❄ فَصَارَ مُثْبِتًا لِنَفْسِهِ الْخَطَـا
وَمُثْبِتًا لِنَفْسِهِ حَرْبُ الْعَـــلِيِّ ❄ جَرَا إِذَايَةُ الْوَلِيِّ الأَكْمَـلِ
وَقَلَّمَا يُنْكِـــــــرُ شَيْـــئًا إِلَّا ❄ أَتَى بِمَا بِهِ يَـــــرِدُ نَقْـلًا
كَالْقَوْلِ فِي مَسْأَلَـــةِ الْكِتْمَـانِ ❄ وَرُؤْيَـــةُ النَّبِيِّ بِالْعِيَـانِ
وَمَا بِهِ هُنَا أَطَالَ الْخِضْـــــرُ ❄ مَـا تَحْتَهُ مِنْ طَائِلٍ يُعْتَبَرُ
وِلَايَةُ الشَّيْخِ التِّجَانِيِّ الْأَفْضَلِ ❄ إِنْ لَمْ تَكُنْ فَلَيْـسَ للهِ وَلِيِّ

أما أسلوب المنكر فهو قديم فيه ومتأصل فلا تعد من باب الموضوعية أو الفضولية بل في أطار التشكيك ثم حب الشهرة عن طريق المخالفة، وذاك شأنه منذ نشاته فذاك ميدانه المفضل عنده وهو التعرض لأهل الله من خلال معايير لغوية وكلمات سطحية وله فيه تاريخ حافل كما سبق ذكره في قصته مع الشيخ ماء العينين، و غيره من الرجال العظام حتى ادت به الى ان وقع في بحر الشيخ رضي الله عنه اللجي الذي لا ساحل له فكانت مغامرته نحو الهاوية وخسارة الدارين، وذكر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتى في كتاب «جنة المريد» ما نصه: كان للشيخ - والده- مريد من بعض الاصحاب، ممن له باع في اللغة العربية فصادف أن الشيخ أنشد قصيدته :

أيا غارة الله اجبي وهلمي بنصر الاله ثم بالخيل والرجل

فاعترض على لفظ هلمي، وراجع فيها الشيخ رضي الله عنه فعلمه طريقة الانتقاد، قال: "وكنت يومئذ صبيا في المكتب فخرج علينا جزعا مذعورا، وجعل يتصفح الكتب، ولا يهتدي إلى كلمة؛ بل لم يعد يميز الحروف، وجعل يبكي بكاء الثكلى، ويتحرك تحرك الحية في المقلى، فتشفع بحريم الشيخ إلى الشيخ في رد ما سلب منه فتشفعت له عنده؛ فرد عليه ما سلب منه، وحجر عليه في التعليم والتدريس فمكث مدة حتى تبين ندمه ؛ ثم اذن له في التعليم.

قال: ولازمه أثر داء أرق ورعشة الى وفاته"؛ وفي ذلك لعبرة لمن يخشى.

ولا ينكر المنكر شيئا على الشيخ إلى جاء رد من آي الذكر الحكيم أو الأثر النبوي أو مقال من فحول التصوف كما مر في مسألة الكتمان ورؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم،ثم لا نجد في إنكاره حجة تعتبر ثم إن عند المنكر تناقضات في كل المواضع التي يناولها .

وأما ولاية الشيخ التجاني رضي الله عنه فهي أظهر من نار على علم أقر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقظة لا مناما وكذالك أكابر الأولياء قبله كما مر مستوفى في هذا الشرح، مما لايتطرق اليه الأنكار الا من حسد. أقول:

عُلُومُهُ فِي بَاطِنٍ وَظَاهِـــــرٍ ❄ كَالْبَحْرِ إِذْ يَقْذِفُ بِالْجَـوَاهِرِ
أَلَمْ يَكُنْ لِلسُّنَّةِ الْغَـــــرَّاءِ ❄ مِثْلَ الْمَنَارِ الشَّامِـــــخِ الْبَنَاءِ
أَمَا تَرَى شَمْسُ هُدَاهُ تَنْجَلِي ❄ بِالْحَقِّ فِي لَيْلِ الضَّلَالِ الْأَلْيَلِ
أَلَمْ يَكُنْ مُعَمِّرُ الْأَقْطَـــــارِ ❄ لِحِلَقِ الذِّكْرِ وَالْاِسْتِغْفَـــــارِ
لِلَّهِ دَرُّ هَدْيِهِ مَا أَحْسَنَـــــهْ ❄ أَحْيَا قُلُوبَنَا بِهِ وَالْأَلْسِنَـــــهْ

قُلْتُ: لا يختلف من له حظ من العلوم: الظاهرية منها أو الباطنية، الشرعية أو اللدنية؛ في إحاطته رضي الله عنه بالعلوم المختلفة، والمتباينة؛ فمن راجع أجوبته الفقهية وإيضاحه للشبهات العقائدية منها والشريعة وتنزيهه الانبياء عليهم السلام عما يقدح في عصمتهم؛ ورسائله إلى الإخوان في الملة والطريقة، وما يقرر فيها من أقوال الأئمة، ومدارك أقوالهم، علم أنه حبر لا يبارى، وبحر لا يجارى، فهو المجتهد المطلق، والعالم المحقق، والبحر المتدفق، والنور المتألق.

وأما علوم الباطن ؛ فهو ابن بجدتها، ومجلي حلبتها، سباق الغايات، وحامل الألوية والرايات؛ لأنه يأخذها من المصدر، ويعلم ما بين فصلها، ووصلها؛ ولا غرو إذ من كان يلقى سيد الوجود، وعلم الشهود، جدير بكل ما ذكر؛ لاسيما من لا يفارقه طرفة عين، فإنه يأخذ العلم من مداركه، ويسلك إلى الله أقوم مسالكه، ولقد أحيا الله به قلوبا غلفا، وأسمع به آذانا صما، وأبصر به أعينا عميا؛ فلست ترى قطرا

من جميع أقطار الارض إلا وللشيخ فيه منار شامخ، أقامه ذَوُو إيمان راسخ، فزواياه معمورة بأذكار؛ ما بين صلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستغفار آناء الليل وأطراف النهارسرا وعلانية قياما وقعودا وعلى جنوبهم؛ فهو لعمري المجدد لدين هذه الامة، والمزيل عنها ظلمات الجهل و الكرب والغمة؛ وأنشدوا في المعنى:

إذا كنت مزكـــوما فليس بلائق مقـالك: هـــذا المسك ليس بفائح

يا بارى القوس بريا ليس يصلحها أتعبت نفسـك أعط القوس باريها

ففى الخبر: «يَبْعَثُ اللهُ لِهَذِهِ ٱلْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»؛ رواه أبو داود: أول كتاب الملاحم؛ مرفوعا ومن طريق غيره موقوفا.

ولا شك أن الشيخ أحمد التجاني هو المجدد، فلقد أحيا الدين، فأنعش القلوب، وزكَّى النفوس؛ فروضها وفضضها وذهبها، فلانت قلوبا صما كانت كشم الجبال؛ فاخضرت الأرض وازدهرت، من خلال مسيرة رجال صدقوا الله ما عاهدوه منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، و للمنصف الذي يتابع سيرة أصحابه القائمين بهديه أن يدرك كم أقاموا صرح الملة السمحاء بعد أن كانت مهجورة، حتى أصبح الدين مظهرا من مظاهر الحياة اليومية في كل مدينة وفي كل قرية وحي، فأصحابه على درب الصحابة ساروا، فصحبه كصحبه صلى الله عليه وآله وسلم ثم هو الوارث حالا ومقالا ومن صدق من مريديه لازم ذاك السلوك، فتراهم ركعا سجدا يدعون ربهم خوفا وطمعا، فعمروا أوقاتهم بالطاعة ولم يكتفوا بالأستطاعة ،فعمروا البيت العتيق بالحج اليه ، على كل دامر ومن كل فج عميق ، وسهروا الليالي يحيونها بالتسبيح؛ والقيام!

وَضَلَّ هَذَا الْمُنْكِـــرُ الْعَنِيـدْ ❄ وَغَـرَّهُ شَيْطَانُـــــهُ الْمُرِيدْ
إِذْ خَطَّأَ الشَّيْخَ بِقَـوْلٍ صَـدَرَا ❄ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الرِّجَالِ الْكُبَرَا
أَنَّ صَلَاةَ الْفَاتِحِ قَـــدْ نَزَلَـتْ ❄ فِي رِفْعَةِ النُّورِ كَمَا عَنْـهُ ثَبَتْ
بِمَا حَكَى الشَّيْخَ عَنِ الْبَكْرِي ❄ فَسَبَّهُ بِقَوْلِـــهِ الْفَـــــرِيِّ
فَتَرَكَ الْبَكْرِيَّ وَهْـــوَ صَدَرَا ❄ مِنْهُ الْمَقَالَ وَادَّعَى فِيهِ افْتِـرَا
عَلَى الْإِمَامِ أَنَّهُ قَدْ يَدَّعِـــــي ❄ وَحْيًا بِجَهْلِهِ وَبِالتَّنَطُّـــــعِ

قُلْتُ: أعود فأذكر؛ فإن الذكرى تنفع المؤمنين، والمحل محل بيان فجاز فيه الأطناب، ثم أ ن حديث المنكر الملفق لحن نشاز مردد ومكرر ومعاد؛ تلاقفته طيور؛ على أمثالها تقع؛ فأبين أن هذا الجاحد على الشيخ رضي الله عنه اعتاد أن يأتي بكل المقولات من أكابر الأولياء كما تقدمت أمثلة فينسبها الى الشيخ رضي الله عنه لتكون ذريعة بإنكاره فيستهدفه من بين الكل كما تسل الناقة من الجمال ، وسبق ذكر الأمثلة في ذلك كإفراد الشيخ التجاني عن الجليي في مقولة: (قدماي هاتان على رقبة كل ولي).

كذالك نجد المنكر يعود الى عادته فيعيب على الشيخ التجاني أخذ صلاة الفاتح من لدن عليم ، مع أن الإمام البكري قال بها قبل شيخنا رضي الله عنه بعهد طويل، فأضاف الشيخ ما خص به من خلالها فيأ تي من باب متأخر جاء بما لم تستطع الأوائل، لأن الشيخ رضي الله تعالى عنه أعطاه الله تعالى من سرها مالم يعطه لولي قبله ولا بعده ،مما لا ينبغي لأحد؛ فهو من قبيل: ربي آتني من الملك ما لا ينبغي لأحد من بعدي .

فإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

أو ما يدري هذا الجاحد اننا كما قيل:

وإياك واسم العامرية إنني أغار عليها من فم المتكلم

لَفْظُ الْوَحْيِ بَيْنَ الْخُصُوصِ وَالْعُمُومِ:

أَعَاذَنَا الرَّحْمَنُ مِمَّا قَـــــادَهْ ❊ لِقَوْلِهِ شَيْطَانُـــــهُ وَاعْتَادَهْ

فَإِنْ يَكُنْ مَا جَاءَ مِنْ أَسْرَارِ ❊ مِنْ عَالِمِ الْغَيْـبِ إِلَى الْأَبْرَارِ

وَحْيًا فَذَا وَحْيٌ يَعُمُّ الْأَوْلِيَا ❊ طُرًّا وَلَمْ يُنْكِـرْهُ غَيْرُ الْأَغْبِيَا

كَمْ مِنْهُـمْ مَنْ نَالَ غَيْرَ زُورٍ ❊ سِرًّا أَتَى فِي رِفْعَـةٍ مِنْ نُورِ

كَالْحَاتِمِيِّ وَقَضِيـــبِ الْبَانِ ❊ ذَكَرَ ذَاكَ الْعَارِفُ الشَّعْرَانِيِّ

وَكَالَّذِي طَافَ بِبَيْتِ الْبَارِي ❊ فَنَزَلَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ نَـــــارِ

فَقُرِئَتْ فِي بَاطِنٍ وَظَـــاهِرِ ❊ فَغَايَرَتْ بِذَاكَ كُتُبُ الْبَشَرِ

وقد أنكر هذا المنكر على شيخنا رضى الله تعالى عنه قوله : إن صلاة الفاتح وردت من لدن عليم خبيرعلى الأمام البكري مسجلة بقلم القدرة في صحيفة من نور ...

واعتبره المنكر ادعاء للوحي بعد انقطاع النبوة. ولم يعلم أن الوحي أنواع: قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾. سورة النحل: 68). وقال أيضا: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ (سورة القصص: 7).

فهل يا ترى أن من النحل نبي!؟ أم أن أم موسى من في عداد الأنبياء؟! فلم يبق إلا تفسير الوحي بالألهام فنقول أن من الألهام لوحي ، كما أن من البيان لسحر .

أغابت على المنكر هذه الآيات الجلية من الذكر الحكيم ؟ فيسقط البحث معه ، وأن كان علمها يأتي التأكيد، أن إنكاره حسد وعناد لا غير، ولا شك أن ما ينكره المنكر الجاحد على الشيخ رضي الله عنه حين يتهمه بأدعاء الوحي لقاسم مشترك بين جميع الأولياء بلا استثناء .

فأن أول من تكلم به بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر الصديق حين قال لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ذو بطن بنت خارجة أراه أنثى).

وفي الصحيح، عن طريق أبي طاهر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : «قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ فَعُمَرُ ابْنِ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ».

قال القرطبي المحدثون: الملهمون ، يحدثون بأمور وجدانية وهي صحيحة في الواقع كما عندهم، وهي نوع من الوحي ، و إخبار بالغيب من عالم الغيب والشهادة، فيجلي ما غاب كرامة وهبة من الله تعالى وفضلا منه لمن يشاء من عباده الصالحين .

وفي «الكوكب» للعارف بالله سيدى أحمد سكيرج:

أن هذا البروز الذي قال به الشيخ رضي الله عنه في صلاة الفاتح معمول به عند المحققين ، وقد عدوه جزء من الإلهام ، وكان يقع للفحول أمثال العارف بالله تعالى أبو عبد الله قضيب البان ، فيجد ما هو مكتوب بقلم القدرة .

قال العارف بالله الشعرانى في «اليواقيت والجواهر»:

فإن قلت: ما الدليل على الوارد من عند الله تعالى حتى يجوز للولي العمل بما فيه؟

فالجواب: أن علامتها كما قال الشيخ محي الدين بن العربى أن الكتابة تقرأ من كل ناحية؛ لا تتغير، على السواء، كلما انقلبت الورقة انقلبت الكتابة.

قال الشيخ محي الدين: (وقد رأيت مرة ورقة هبط على فقير في المطاف بعتقه من النار؛ فلما رآها الناس علموا أنها ليس من كتابة المخلوقين).

قَدْ قَالَ ذَا فُحُولَ الْأَوْلِيَـــاءِ ❄ كَلَّا بِلَا شَـكٍّ وَلَا امْتِـــرَاءِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي صَلَاةِ الْفَاتِـحِ ❄ الْعَارِفُ الْبَكْرِيُّ قَوْلَ النَّاصِحِ
إِنَّ الَّذِي قَرَأَ مِنْهَا وَاحِـــدَه ❄ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَلْيَأْخُذْ يَـــدَهْ
فَأَيْنَ ذَا مِنْ قَوْلِ شَيْخِنَا الَّذِي ❄ أَنْكَرَهُ هَذَا الْمُغَفَّلُ الْبَـــذِي
فَلَمْ يَكُنْ يَبْقَى سِوَى التَّسْلِيمِ ❄ أَوْ سَبِّ الْأَوْلِيَا عَلَى الْعُمُـومِ
لِأَنَّهُمْ قَدْ وَافَقُوا فِي كُلِّ مَـــا ❄ قَدْ قَالَهُ الشَّيْخُ كَمَا قَدْ عَـلِـمَا

قُلْتُ: ثبت في جميع النصوص المأثورة عندا علماء الظاهر والباطن أن ما يآخذه المنكر على الشيخ التجانى رضي الله تعالى عنه نجده أو ما يماثله عند الأولياء.

وفي ما يخص افتراءات المنكر على الشيخ التجاني، فبمقابلتها مع ما في كتابات الشيخ ومقالاته المنتشرة والعديدة يتبين للمنصف زيف ما ذهب اليه المنكر، إلا اذا اعتبرنا أن كل ما كتب عن التصوف ينسب إلى الشيخ وهذه الفرضية غير واردة.

قال الشاعر:

والدعاوى مالم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

وحقيقة ما في الأمر أن المنكر ينتحل كل ما يدعم مذهبه الباطل من أشارات يخفى عليه فهمها من كلام الأولياء فيبني عليها أنكاره،ويؤولها بما يوافق هواه فيستدل بالأ حاديث في غيرمحلها ويضعها في غير موضعها ويستدل بالآيات من

كتاب الله تعالى من غير تدبر ،فيصبح من الذين يشترون الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

فالمنكر بهذا يرمي نفسه الى التهلكة ويتغزى بمن أعراضهم مسمومة ؛ وقد سبقه في مسلكه هذا أناس كانت عاقبتهم وخيمة وخاتمتهم سيئة والعياذ بالله من ذالك.

لَكِنَّ نُكْرَ الْجَاهِلِ الطَّرِيـــــدِ ❊ إِنْكَارُ ذِي الْحَسَـدِ وَالْجُحُـودِ
وَقَوْلُ الْأَوْلِيَاءِ صَعْبُ الْمُدْرَكِ ❊ وَفَهْمُهُ صَعْبٌ عَلَى كُلِّ ذَكِـيِّ
إِذْ لَيْسَ يُدْرِكُ كَلَامَ الْقَـــوْمِ ❊ إِلَّا شَرِيكُ الْقَوْمِ فِي الْفُهُـومِ
حَتَّى يَكُونَ مَعَهُمْ فِي حَـــالٍ ❊ يُفْهِمُهُ دَقَائِقُ الْأَقْـــــوَالِ
لِذَاكَ قَالَ الْعَالِمُ الْعَلَّامَـــــهْ ❊ عَبْدُ الْوَدُودِ الْوَرِعِ الْفَهَّامَـــهْ
كَلَامُ الْأَوْلِيَاءِ لَسْتُ أَفْهَـــمُ ❊ لِأَنَّنِي أَنَا أَنَا وَهُمْ هُـــــمُ

وأنشدوا في المعنى :

فمن ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه

فأشارات القوم لايفقهها الا من شرب من شاربهم .وكما في العرف وباقي الفنون اصطلاحات واشارات لايفك لغزها الا أصحابها أو من له باع فيها .

فاذا غابت عن الانسان مصطلحات قوم يستغرب منها حين يسمعها و كان الأجدربه أن يعترف بالقصور؛ فأن تواضع رفعه الله، وان أستعلى وأنكر ما لم يحط به علما صار عرضة للسخرية ، وعليه فللقوم أحوال ومشارب لا يدركها الا من عاناها،

خلق الله للحروب رجالا ورجالا لقصعة من ثريد

لقد انصف عبد الودود بن عبدل حيث يقول : كلام الاولياء ... الخ .

وان كان هو من هو في شتى العلوم والفنون ، لأن العالم حقيقة من يقول لست أدري ، لذلك قيل : لا أدري نصف العلم؛ وقال سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم في **مراقي السعود:**

فالكل من أهل المناحي الأربعة يقول لا أدرى فكن متبعه

والمنحى: المذهب .

ويحكى أن الإمام مالك سئل عن ثمانين مسألة في مجلس واحد ، فأجاب عن أربعين منها بلا أدري وقيل في المعنى:

فمن كان يبغي أن يرى متصدرا ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

ويحكى عن عبد الرحمن بن القاسم أنه سئل في مجلس الإمام مالك عن مسألة فأجاب فيها سريعا ؛ فقال: "لقد تجاسرتُ علي الفتاوى، وما أفتيتُ بعدها حتى أجازني ثمانون محنكا".

ثَوَابُ صَلَاةِ الْفَاتِحِ مَحْفُوظٌ مِنَ الْإِحْبَاطِ:

وَأَنْكَرَ الْجَهُولُ مَا قَدْ ذَكَـــرَا ❊ إِمَامُنَا عَنْ جَدِّهِ خَيْرِ الْوَرَى

أَنَّ صَلَاةَ الْفَاتِحِ لَا تُحْبِـــطْ ❊ أُجُورَهَا كَمَا حَكَاهُ الْفُــرُطْ

وَكَمْ لَهَا فِي الشَّرْعِ مِنْ نَظَائِرِ ❊ أَوَلَمْ يَنْتَقِدْهُنَّ أُولُو الْبَصَائِرِ

كَالتِّسْعِ فِي تَضَاعُفِ الْأُجُورِ ❊ فَلَيْسَ تُحْبَطُ عَلَى الْمَأْثُـــورِ

وَإِنَّمَا لِلْغُرَمَاءِ وَاحِـــــدَهْ ❊ وَتِلْكَ فَائِدَةٌ أَيِّ فَائِـــــدَهْ

ونعود لنؤكد أن فضل الله واسع وفضائله لاتحصى، و الأحكام توقيفية والأصل فيها الإباحة؛ ما لم يرد نص يعول عليه من الكتاب والسنة. فكيف يتسنى لمن بضاعته مزجاة؛ ونصيبه في العلم ضئيل، أن يقوم مقام الآ مر الناهي فينكر ما

حلا له بطريقة همجية، فيمانع في كون صلاة الفاتح لما غلق لايحبط أجر قراءتها، ولاتقضى بها الغرماء،فلم يع أن بطون الكتب مليئة من نظائر هذه الأحكام .

قال عز من قائل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ (سورة البقرة: 261).

فقد نصوا على أن هذا التضاعف يبقى لصاحبه لا يشاركه فيه الغرماء وهو أمر واضح وجلي ؛ لأن التضاعف ليس من جنس العمل الذى يؤخذ في التبعات؛ وإنما هو محض فضل من الله ؛ ولا مدخل فيه للغرماء، فليس لهم الا الحسنة التي هي الأصل، دون المضاعفة التي تأتي تفضلا من الله على هذه الأمة تخصيصا لها.

وَفِي الْحَدِيثِ عَمَلُ ابْنِ آدَمِ ❊ لَهُ سِوَى الصَّوْمِ فَلِي يَا ذَا الْعَمِى
تَفْسِيرُهُ بِأَنَّ أَجْرِ الصَّائِـــمِ ❊ يَبْقَـى فَلَا يَبْقَى يُؤْخَذُ فِي الْمَظَالِمِ
وَفِيهِ أَيْضًا مِثْلُ ذَا كَلِمَتَـانِ ❊ خَفِيفَتَـــــــانِ وَهُمَا ثَقِيلَتَانِ
وَلَمْ يَكُنْ يُحْبَطُ مِنْ أَجْرِهِمَا ❊ شَيْءٌ كَمَا رَوَاهُ مَـــــنْ تَقَدَّمَا

وفى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ».

فقد جاء أن هذا الذكر الشريف لا يحبط ثوابه، لما وعد الله به عزوجل من الجزاء عليه والمضاعفة فيه.

فكان على المنكر أن يراجع النصوص الجلية؛ بدل أن ينصب نفسه حكما في غير محله، و في عدم إبطال أجره، جراءة على أولياء الله تعالى، وتلاعبا بالشريعة الغراء، و تماديا في الإنكار على رجال الله الكمل.

قوم خصهم الله بمحض إرادته بما لم يخطر على قلب أحد من أسرار وعلوم زكية، وخزائن مكتظة، ودقائق خفية، وحقائق بهيجة، ومنحا باقية، ولطائف فائحة، وإن تعدوا نعم الله لا تحصوها:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبو الا

وحقيقة ما في الأمرأن الشيخ التجاني وارث جده صلى الله عليه وآله وسلم وكما هو معلوم فأن الوارث يرث الحال والمقال، ثم ابتلي عودة الى ذي بدئ بالأطراف كما ابتلي جده صلى الله عليه وآله وسلم ممن يؤذونه بالأقوال كما اخبر بذلك الشعراني في طبقاته بقوله ولما كان الأولياء والعلماء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام فى مقام التأسي بهم انقسم الناس فريقين : فريق معتقد ممتثل وفريق منتقد جاحد.

كما وقع مع الرسل عليهم السلام ليحقق الله بذلك ميراثهم فلا يصدقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا من أراد الله عزوجل ان يلحقه بهم ولو بعد حين.

ضَجَّةٌ مُفْتَعَلَةٌ حَوْلَ لَفْظَيْ الْأَسْقَمِ وَالْمُطَلْسَمِ:

وَأَنْكَرَ الْأَسْقَمَ وَالْمُطَلْسَـــــمَا ❊ مِنْ شِدَّةِ الْجَهْلِ وَمِنْ فَرْطِ الْعَمَى
وَالْأَسْقَمُ الْمُعْتَدِلُ الْمِنْهَـــــاجِ ❊ فِي الْاِسْتِقَامَةِ بِلَا اعْوِجَـــــاجِ
فَأَفْعَلُ التَّفْضِيلِ فِي اسْتِقَامَتِـــهِ ❊ جَعَلَهَا لِلسَّقْمِ فِي عِبَارَتِـــــهِ
وَرُبَّمَا جَاءَ عَنِ النُّحَـــــاةِ ❊ حَرْفُ مَزِيدٍ كَالْأُصُولِ يَأْتِـــي
وَعَكْسُ ذَا جَاءَ وَلَكِنْ يَعْسُـــرُ ❊ عَلَى الْغَبِيِّ حَصْرٌ لَا يُحْصَـــرُ
وَاللَّفْظُ أَمْلَاهُ عَلَى الشَّيْخِ النَّبِيُّ ❊ كَذَا وَلَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلْغَبِـــيِّ
وَشَيْخُنَا فَسَّرَهُ بِمَا ذَكَـــــرَ ❊ فِيهِ وَمَنْ أَنْكَرَهُ فَقَدْ خَسِـــرَ
وَرُبَّ قَوْلٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى ❊ أَعْيَتْ مَعَانِيهِ الرِّجَـــالُ الْعُرَفَا
مُطَلْسَمُ السِّرِّ هُوَ الْمَكْتُـــومُ ❊ مِنْ غَيْرِ مَنْ خَـــصَّ بِهِ مَعْلُومُ
وَهْوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ القَـــوْمِ ❊ وَفِي اصْطِـلَاحِ الْقَوْمِ كَالْمَعْلُومِ

قُلْتُ: يأتي الطَّعْنُ في الكلمات، والعبارات، والمعاني؛ بعد المصطلحات، والمقولات؛ فلم يترك المنكر مجالا إلا واستهدفه؛ كما يأتي مع لفظي الأسقم، والمطلسم في صيغة الصلاة على النبي المصطفى المعروفة بـ «جوهرة الكمال». فدلت مرة أخرى على فقر بضاعته في العلم والعرفان؛ وهذا ميدان وعر؛ زلقت فيه أقدام رجال؛ لأن هذان اللفظان اللذان أنكرهما لا سيما كلمة الأسقم؛ كثر حولها الجدل في أزمنة مضت، فَدُوِّنَت في الجواب عنها الدواوين؛ وزلَّت فيها أقدام كثير من المدعين للعلم؛ منكرين لكيفية بناء (أفعل التفضيل) من كلمة استقام، فيمنعون الإتيان بالسين في اللفظ؛ مع أنها زائدة، وحذف الواو المنقلبة عن الألف، مع أنها أصلية

عندهم، ويجعلونه من باب التقويم؛ لا من باب الاستقامة؛ وذلك خلط ظاهر لأنها من الاستقامة، كما هو واضح في المعنى.

والجواب عن هذه الكلمة من وجهين:

- الوجه الأول: فيما قاله ابن مالك في «التسهيل» مما هو مقنع للمتأمل المنصف.

- والوجه الثاني: أنه تَأَتَّي من واردات الأولياء .

يقول ابن مالك في «التسهيل» في باب التعجب.

وقد يبنيان؛ أعنى التعجب والتفضيل ـ من فعل المفعول: إن أمن اللبس، وفعل أفعل؛ مفهم عسرا أو جهلا؛ ومن مزيد فيه .

قال الدماميني فى «شرحه»؛ نحو ما أعطاه للدراهم. وما أشوقني إلى عفو الله تعالى، فإنهما من أعطي واشتاق؛ وليس من ذلك: ما أفقره ؛ فإنه من فقر الرجل: بمعنى افتقر.

وأما : ما أشهاه؛ فإنه من شهى الشيء بمعنى اشتهاه.

وكون حرف المزيد يأتي فى محل الأصل؛ فذلك كثير مشتهر في كتب النحو وفي التصريف، وفي الجموع.

فمن الجُمُوعِ: أمكنة - مثلا- فإن المكان - أصله-؛ مكون؛ فحذفت الواو، وهي الأصل التى هي عين الكلمة؛ وأقيم الزائد الذى هو الميم مكانها، كما حذف الواو من الأسقم؛ وهو أصل، وأقيم مقام الواو السين، وهى زائدة كـ (حذوك النعل بالنعل).

فإن قيل إن بناء أفعل التفضيل من الثلاثي غير مَقِيسٍ؛ وما سمع قلنا فى القرآن العظيم: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِيَ أَقْوَمُ" بناء على أنه مأخوذ من استقام بمعنى: قَيُّومٌ، ومستقيم؛ كما في القاموس.

ويكفي المنصف غير المنكر في هذه اللفظة ما فسر به الشيخ التجاني رضي الله عنه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قال: الأسقم يعنى المستقيم، المعتدل في الاستقامة بلا اعوجاج.

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

أما الاعتراض على الأسقم؛ بأنها بمعنى : الأخس، أو الأضعف أو الأمرض؛ فلا يتم؛ لأن العرب وضعت ألفاظا كثيرة تخالف معانيها.

قال ابن الاثير في «النهاية» في مادة حرج: وتحرج فلان إذا فعل فعلا يخرج به من الحرج والإثم والضيق. وقال فيها في مادة الإثم: يقال: تأثَّم فُلَان؛ إذا فعل فعلا؛ خرج به من الإثم.

ونقل في لسان العرب في مادة حنث عن ابن الاعرابي قال. وللعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها. يقال: فلان يتحنث؛ إذا فعل فعلا يخرج به من الإثم، والحرج. وقال في مادة حرج: وقولهم: رجل متحرج، كقولهم : رجل متأثم، ومتحوب، ومتحنث؛ يلغي الحرج ، والحنث والحوب؛ والإثم عن نفسه ورجل متلوم إذا تربص بالأمرين: يريد إلقاء الملامة عن نفسه.

وأيد صاحب «تاج العروس» ما نص عليه في «لسان العرب»، فعلى هذا يجوز لنا أن نقول: إن الأسقم التى بمعنى الأخس أو الأضعف ، أو الأمرض – كما زعم يوسف النبهانى؛ بمعنى الأشرف؛ لأنه مقابل للأخس أو الأقوى وهو كذالك مقابل للأضعف أو الأصح؛ فيقابل كذلك الأسقم.

وقال ابن سيده في «المخصص»: "وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه؛ جاز وقوعها للشيء وضده؛ إذ الضدد ضرب من الخلاف؛ وإن لم يكن كل خلاف ضدا؛" انتهى.

قال الشيخ سيدي المختار الكنتي رضي الله عنه في كتاب «الأجوبة المهمة» ما نصه:

"وأما سؤالك ما معنى قولنا في دعاء الورد، ما أنت أملكه مني، مع أن قياس النحويين أن تقول: أملك له مني، كما هو المشهور عندهم في (أفعل التفضيل)؛ فالجواب أنه كذلك لا على ما قد تتخيلون؛ فإن الاصطلاحات النحوية لا تحيط بألفاظ المعاني القدسية، من كتاب أو سنة، أو ما يفيضه الله تعالى على ألسنة أوليائه".

"وأما الوجه الثاني: وهو الخوض في كلام الأولياء، والاعتراض عليهم، وتلحينهم؛ فقد هلك به كثير من الناس؛ نعوذ بالله تعالى من ذلك".

قال العالم العلامة النابغة الغلاوي[39] :

ومن تعرض لشعر الأوليا بالنحو والعروض قطعا بليا

فمن ذلك؛ ما ذكره صاحب «تحفة الأكياس»: "أن الشيخ إبراهيم الجعبري عقد له مجلس في منعه من الموعظة. وقيل إنه يلحن في القرآن والحديث؛ فامتنع القضاة الثلاثة من الفتوى بمنعه، وأفتى القاضي المالكي بمنعه ، وكان الشيخ إبراهيم في وعظه، والناس يبكون فقال لهم: قولوا معي: شقع بقع يا الله يقع!.

فجاء الخبر أن القاضي المالكي نزل من باب المدرج من قلعة مصر؛ فانكسر عنقه؛ فجاء القضاة إلى الشيخ يقبلون رجليه ويعتذرون .

فقال لهم : نحن لا نلحن، وإنما الذي سمعتم، هو الذى يلحن، ويسمع الزور، والباطل". انتهى.

وقال الشيخ زكريا رحمه الله تعالى: "إياك والإنكار على الأولياء، إذا سمعتهم يلحنون في القرآن والحديث ؛ فإنهم لا يلحنون ، ولكن سمعك هو الذي يلحن؛ وما أحسن ما أنشدوا في هذا المعنى:

سر الفصاحة كامن فى المعدن والسر في الأرواح لا فى الألسن

والجوهر الشفاف أفضل قنية فلِمُقْتَنِي الأصداف قل لا تَقْتَنِى

39. النابغة الغلاوي: محمد بن عمر؛ عالم من بلاد شنقيط؛ صاحب رحلة؛ اشتهر بمنظومته الموسومة بـ: "بوطليحية"؛ توفي سنة: [1245هـ= 1828م]. انظر: يحيى، ولد البراء: (دراسة وتحقيق)، من نصوص الفقه المالكي، بوطْليحية، وهو نظم في المعتمد من الكتب والفتوى على المذهب المالكي، لمحمد النابغة بن عمر الغلاوي. المكتبة المكية، ومؤسسة الريان، المملكة العربية السعودية، ط:2، 2004م.

ماذا يفيد أخا لسان معـرب إن يلق خالقـــــه بقلب ألكن

ويحكى أيضا أن الشيخ الحسين عقد له مجلس بسبب اللحن، فأصدر السلطان مرسوما بمنعه؛ فبينما السلطان فى بيت الخلاء؛ إذ خرج عليه أسد جسيم، وفتح له فاه؛ يريد أن يبتلعه، فارتعد السلطان ونزل إلى الشيخ الحسين؛ يطلب منه السماح، فأنشد الشيخ الأبيات المتقدمة.

وهذا أكثر من أن يحصى فى كرامات القوم .

وأما المطلسم: فهي من اصطلاحات القوم، و هي عندهم: السر المطلسم أي المكتوم، وهى كسابقتها مما روي عن الشيخ التجاني - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و المعترض عليه جوابه ما مر بنا عن الأسقم؛ فلا معنى لإعادته. وفي «التاج»؛ وطلسم كسيطر؛ وشدد شيخنا اللام؛ وقال: إنه عجمي.

وعندي أنه لفظ عربي: اسم للسر المكتوم، وقد كثر استعمال الصوفية له في مصطلحاتهم، فيقولون: سر مطلسم، وحجاب مطلسم، والجمع طلاسم.

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وَمِنْ كَـلَامِ الْأَوْلِيَا مَا أَشْكَلَا ❄ لَا سِيَّمَا عَلَى اللِّئَـامِ الْجُهَـلَا

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِهَتْـــكِ حَرَمِ ❄ أَهْلِ الْوِلَايَةِ ثَوَى بِالنَّـــدَمِ

أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الْخُسْـــرَانِ ❄ بِجَاهِ شَيْخِي أَحْمَدَ التِّجَـانِيِّ

قُطْبُ الْوُجُودِ مَنْبَعِ الْعِرْفَانِ ❄ سَلِيلِ بِضْعَةِ النَّبِيِّ الْعَدْنَـانِيِّ

سَاقِي كُؤُوسِ سِرِّهِ الرَّبَّـانِيِّ ❄ أَهْلِ الْوِلَايَةِ مَدَى الْأَزْمَـانِ

بِرَغْمِ أَنْفِ كُلِّ جَاهِلٍ حَسُودٍ ❄ وَكُلِّ شَيْطَانٍ عَلَى الْحَقِّ مَرِيدِ

وهذا حق؛ لأن الأحاديث النبوية قلَّ من يحيط بجميع معانيها، و مدلولاتها، لفصاحة صاحبها صلى الله عليه وآله وسلم، وجمعه لأساليب البلاغة، ومعاني البيان؛ فترى الحديث الواحد يختلف فى فهمه، وتفسيره مجتهدو علماء الأمة؛ فكلهم يأخذ حسب إدراكه، وفي حدود محيطه، وظروفه؛ فيستنبط قدر إمكانه، ويبقى النبع مليئا على حاله: عذبا صافيا.

فمن ذلك: حديث النهي عن لحوم الحمر الأهلية كما رواه البخارى وغيره، حيث نادى منادٍ، بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أَنْ أَكْفِئُوا الْقُدُورَ»؛ فاختلفوا في فهمه، فكل تمسك بما فهم منه.

فمنهم من رآه تحريما للحوم الحمر الاهلية ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أتلفوه)، ولو كان لحما حلالا؛ و مع مس الحاجة إليه؛ ما أمر بإتلافه.

وآخرون رأوا النهي توبيخا، وعقابا لمن فعله قبل القسم؛ فاستنبط من الأمر جواز العقوبة بالمال. مبلغ فدية ،مقارنة بلحوم الأبل التي أحلت بالمثل.

ومن ذلك الاختلاف؛ ما رواه مسلم والبخاري والترمذي ولفظه: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ).

و ماجاء في حديث: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ؛ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ نَاوَأَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ».

وفي بعض طرقه: (أَلَا وَهُمْ أَهْلِ الْغَرْبِ).

فمنهم من قال: أَهْلُ الْغَرْبِ مِنَ ٱلأَرْضِ.

ومنهم من قال: هم العرب أهل البادية.

والْغَرْبُ: الدُّوَلُ الْعُظْمَى.

ومنهم من قال أهل النجدة والشدة من أهل الغرب لأن الغرب الحدة.

إلى غير ذلك من الأحاديث التى لم تحط بكُنْهِ معناها جهابذة العلماء.

ومن كلام الأولياء ما أشكل على العامة من الناس.

فمن ذلك قول الغزالي رضي الله عنه: «ليس في الإمكان أبدع مما كان»؛ فإنها كلمة طارت شرقا وغربا؛ وانتقدها عليه كثير من العلماء والصوفية ، حتى مزق أهل الأندلس إحياء علوم الدين بسببها فدعا عليهم ، أن يمزق الله ملكهم؛ فاستجيب له؛ فمزقوا كل ممزق.

وكذلك قول الحاتمى ابن العربي بإيمان فرعون، وقيل كنى به عن نفسه ، وقيل غير ذلك فلم يفهم الناس تفسيرها وانتقدوها عليه إلى غير ذلك .

وما ترى معترضا على الأولياء كلاما من كلامهم الذي ربما خفي على الناس تأويله إلا ابتلاه الله تعالى؛ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

نَظَرَ شَمْسَ الْحَقِّ مِنْ عَيْنِ الْعَمَى ❊ فَحَسِبَ الضِّيَـــاءَ مِنْهُ ظُلَمَا
فَسَدَّدَ السَّهْمَ لِفَرْطِ نُكْـــــرِهِ ❊ فَوَقَعَتْ سِهَامَهُ فِـــي نَحْرِهِ
يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى خَيْرٍ هُـــــدًى ❊ لَكِنَّهُ قَدْ ضَلَّ فِي سُبُلِ الرَّدَى
فَالْوَيْلُ مِمَّا جَاءَ فِي مَنْقُولِـــــهِ ❊ لَهُ وَوَيْلَانِ لَهُ مِنْ قَـــــوْلِهِ
فَإِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَـــــــــادِ ❊ يَا مَنْ يَسُبُّ مَنْبَعَ الْإِمْـــدَادِ
شَيْخِي التِّجَانِيِّ خَتْمُ الْأَوْلِيَـــاءِ ❊ سَلِيلُ طَهَ خَتْمِ الْأَنْبِيَـــــاءِ
قَدْ بَاءَ بِالْخُسْرَانِ مَنْ عَـــــادَاهُ ❊ كَمَا تَوَلَّى اللهُ مَـــــنْ وَالَاهُ

فلله در البوصيرى حيث قال فى المعنى:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويُنكر الفم طعم الماه من سقم

وحيث يقول:

وتولت وما رأته ومن أيـ ـن ترى الشمس مقلة عمياء

إن عمي البصيرة؛ هو العمى الحقيقي. ومن أعظم ما يناله الشيطان من الإنسان بعد الشرك بالله تعالى أن يسلطه بإغرائه له، على ولي من أولياء الله

تعالى؛ فيهلك، ويزداد شغفا في إذايتهم، والاستخفاف بحرماتهم؛ فيصيبه الله نكالة الدنيا والآخرة؛ فيصوب سهامه فى نحره؛ فيقوده شيطانه وتحمل رايته نفسه الأمارة بالسوء.

فيبقى الصراع قائم بين الحق والباطل وبين حزب الرجيم وحزب الرحيم :"ألا إن حزب الله هم الغالبون" " فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين".

فجاء الأنكار، وليد التزمت والتعصب المذهبي فيدفع الى فقدان الموضوعية وعدم تقبل الغير واعتبار القناعة الخاصة حقيقة ثابتة؛ أو وحي منزل؛ فيأتي أمثال الخضري وإدْيبجَ بحقدهم وضغينتهم وتهجمهم على أولياء الله الكمَّلِ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ... ﴾ (سورة الأنعام: 112).

فِرْيَةُ انْتِشَارِ الطَّرِيقَةِ لِفُشُوِّ الْجَهْلِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ:

كَمَا افْتَرَى مِنْ قَــوْلِهِ الْمُزَوَّرِ ❊ أَخُو الْجَهَالَةِ الْغَبِيِّ الْمُفْتَــــرِي

أَنَّ انْتِشَارَ نَهْجِنَا التِّجَــــانِيِّ ❊ بِحَسَبِ الْفَسَادِ للزَّمَــــــانِ

يُرِيدُ أَنْ يُشِينَهُ بِمَا افْتَــــرَى ❊ وَذَا يُزِينُهُ لِمَا قَدْ ذَكَــــــــرَا

إِنَّ الَّذِي يَذْكُرُ بَيْنَ الْغَافِلِينَ ❊ كَصَابِرٍ فِي الْحَرْبِ بَيْنَ مُدْبِرِيــنَ

كَذَا حَدِيثُ لَا تَزَالُ طَائِفَــهْ ❊ مِنْ أُمَّتِي رَوَاهُ أَهْلُ الْمَعْرِفَــــهْ

وَلَمْ يَكُنْ يَضُرُّهُمْ مُخَالِــــفُ ❊ قَدْ وَصَفَ الْقَوْمَ بِهَذَا الْوَاصِفُ

كَذَا حَدِيثُ أُمَّتِي كَالْمَطَــــرِ ❊ لَمْ يَدْرِ فَضْلُ أَوَّلٍ مِنْ آخِــــــرِ

وأما قول المنكر أن انتشار طريقتنا التجانية في البلاد وجميع أقطار الأرض بسبب فساد الزمن، وفساد أهله؛ فإنه يكفنا من جوابه الحديث الصحيح:

«مَنْ قَالَ: هَلَكَ النَّاسُ؛ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ» ألم تكن سيرة أهل طريقتنا معلومة عند الخاص والعام كما سبق الحديث من مداومة على ذكر الله غدوا وعشيا، ومواظبة على فعل الخير.

ألم يأت في الخبر الصادق: (الذَّاكِرُ بَيْنَ الْغَافِلِينَ كَالصَّابِرِ بَيْنَ الْفَارِّينَ)؛ وَخبر: (أُمَّتِي كَالْمَطَرِ؛ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ).

وفي الصحيح : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ؛ لَايَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ)، وفي بعض طرقه: (وَهُمْ أَهْلُ الْغَرْبِ).

كما ذكر الحكيم الترمذي في كتابه «نوادر الأصول»: في الفصل الثاني والعشرين والمائة، أن خير هذه الأمة أولها وآخرها واستقامة الوسط باستقامة الطرفين .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم: (خَيْرُ أُمَّتِي أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا، وَفِي وَسَطِهَا الْكَدَرُ).

وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما: (مَثَلُ أُمَّتِي كَالْمَطَرِ؛ لَايُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ).

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: (بعثنى خالد بن الوليد بشيرا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مؤته، إلى أن قال: فبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم حوله فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: مالنا لا نبكي، وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا؟ قال لا تبكوا؛ فإنما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها، فاجتث رواكبها وهيَّأ مساكنها، وحلق سعفها، فأطعمت عاما فوجا، ثم عاما فوجا، ثم عاما فوجا، ولعل آخرها طعما يكون أجودها قنوانا، وأطولها شمراخا، والذى بعثني بالحق ليجدنَّ ابن مريم خلفا من حواريه).

وفي رواية أخرى: (لَيُدْرِكَنَّ الْمَسِيحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ ، إِنَّهُمْ لَمِثْلُكُمْ أَوْ خَيْرٌ؛ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ وَلَنْ يُخْزِيَ اللَّهُ أُمَّةً أَنَا أَوَّلُهَا وَالْمَسِيحُ آخِرُهَا).

قال أبو عبد الله الحكيم : (مَنَّ الله تعالى على هذه الأمة، فقال: كنتم خير أمة ... الآية).

قال وقد جاء في الخبر؛ أنه سيظهر العلم في آخر الزمان؛ ويقبل الناس على أمر الله تعالى؛ حتى تتم حجة الله على عباده.

قال الإمام أبو المواهب التونسي رضي الله عنه في بعض وصاياه: "واحذروا من قول من يقول: ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء فإنهم ما ذهبوا حقيقة ، وإنما هم ككنز صاحب الجدار ، وقد يعطي الله من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر" كما جاء في «الكوكب الوهاج» .

قُلْتُ: ومن قال: إن من هذه الطائفة أصحاب الشيخ، أو هم هم لكان صادقا؛ لأن الله أعانهم بفضله على البر، والخير، والتقوى؛ فدويهم كدوي النحل في أحياء الأمصار المختلفة بحلقات الذكر بكرة وعشيا.

وليت شعري هل في ذاك فساد هذا الزمان كما ادعاه المنكر ؟!؛ وهل حلق الذكر فساد؛ فيكون طلب الجاه عند الأمراء والسلاطين والتكفف من خلال الطعن في أولياء الله مجلبة للثروة؛ ليزداد المنكر غنيمة؛ فيكون صلاحا؟ أم أن المنكر من أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

وَأَنَّ لِلَّهِ عِبَـــــــــــادًا وُرَّدَا ❄ لَيْسُـــــوا بِأَنْبِيَا وَلَا بِشُهَدَا

يُغْبِطُهُمْ لِلْقُرْبِ الْأَنْبِيَـــــــــاءُ ❄ وَرَبُّنَا يَخْلُـــــــقُ مَا يَشَاءُ

وَقَوْلُهُ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُـــــــونَ ❄ كَفَى بِهِ رَدًّا لِقَوْلِ الْمُنْكِرِينَ

فَشَيْخُنَا وَرِثَ خَيْرَ مُصْطَفَـــــى ❄ فِي هَدْيِهِ وَنَهْجُـهُ قَدِ اقْتَفَى

فَانْتَشَرَتْ طَرِيقَهُ بِمَغْـــــــرِبٍ ❄ وَمَشْرِقٍ عَلَى مَمَـــرِّ الْحُقَبِ

وَالنَّاسُ أَفْوَاجًا إِلَيْهَا دَخَلُـــــوا ❄ كَمَا بِدِينِ الْهَاشِمِـــيِّ فَعَلُوا

وفي الخبر: (إِنَّ للهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ؛ يَغْبِطُهُمْ لِقُرْبِهِمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ). روى أحمد ما معناه .

وقال مجد الدين: لا ينبغي لأحد من أهل الفكر والتخمين الاعتراض على أهل العطايا والمنح الآلهية، ومن تعرض لتخطئتهم، فالأولى به اتهام نفسه بالقصور في العلم أو الفهم، وبالأحرى في مقدار إيمانه.

يقول من علم بالقلم: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾. (سورة النحل: 8)، وقال الشيخ مجد الدين صاحب القاموس: لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم بمجرد رأيه، لعلو مراتبهم في الفهم والكشف.

قال: و لم يبلغنا عن أحد منهم أنه أمر بشيء يهدم الدين.

قُلْتُ: بل كيف ممن جعل شروط ورده حضور الجماعة في الصلاة بطهارتها، حرصا على ملازمة الجماعة والطهارة .

ثم قلت : و ما رأيت لهذا المنكر مثلا الا ماقاله ابن عطاء الله : كيف يطمع في حضرة الله تعالى من لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الإسرار؛ وهو لم يتب من هفواته.

ولكن المنكر إذا خلا له الجو ممن يملك الرد عليهم من علماء الطريقة، بعد تنقلات في البلاد، والسعي مع من يناصره فتتجه اليه العوام ممن لا باع لهم في الشريعة وأصولها ولايدركون مقاصدها،فينشر دعاويه وبهتانه؛ مدعيا التفوق في العلم:

واذا ماخلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

ويجيب لسان حال أصحاب الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه:

يامن يساجلني وليس بمدركي شأوي وأيــن له جلالة منصبي

لاتتعبن فدون ما حاولتـــه خرط القناد و امتطـاء الكوكب

وأقول بعد ذالك:

وَذَا بِوَعْدٍ مِنْ شَفِيعِ الْبَشَـــرِ ❊ لِشَيْخِنَا بِرَغْمِ أَنْـفِ الْمُنْكِرِ
فَاللهُ يُجْزِيهِ بِسُوءِ مَا افْتَـرَى ❊ عَلَى إِمَامِ الْأَوْلِيَـــا وَأَنْكَـرَا
جَلَبَهَا بِضَاعَةٌ لَا تُشْتَـــرَى ❊ إِلَّا بِدِينِ مَنْ بِهَا قَـدْ خَسِرَا
وَجَازَهَا أَهْلُ النِّفَاقِ وَالْمِـــرَا ❊ مُتَّجَرُ خَيْبَةٍ فَبِئْـسَ مُتَّـجَرَا
يَا مَنْ لِشَيْخِنَا انْتَمَى وَانْتَصَرَا ❊ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ ثُمَّ الْحَـذَرَا
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ ضَمَّهَا فَلَا تُـرَى ❊ مُخَالِطًا لِأَهْلِهِ وَلَوْ شَـــرَّا
فَإِنَّ ذَا يُغْضِبُ سَيِّدَ الْـــوَرَى ❊ أَعَاذَنَا مِنْ ذَاكَ بَارِئَ الْبَرَى

قُلْتُ: فشيخنا رضي الله عنه، ناقل عن جده، صلى الله عليه وآله وسلم. وفي الخبر: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ).

وقال في «الجواهر»: العلماء هم العارفون الذين أدركوا الحقائق، وعلموا ماوافق الحق وما خالفه؛ فذاك فضل الله تعالى؛ يعطيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فلا ينال الكشف، ولا الذوق إلا من الله تعالى، لا من خلال قراءة في سطور غير مأمونة الخطأ؛ جلها من رأْيٍ غير معصوم؛ وربما نسب إليه ما لم يقله؛ فيؤدي إلى الاغترار في دين الله. وشيخنا رضي الله تعالى عنه هو صاحب بجدة هذه العلوم وطلاع ثناياها. فيقول لسان حاله:

أنا أبن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

فمن راجع كتبه العرفانية، وتتطرق إلى أسراره الربانية، ووقف على أجوبته الشرعية، علم أنه وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا نزاع، وحبر هذه الأمة بغير مراء.

وقال ابن أحمد دام البوحسنى[40]:

من كان في مذهب التجاني ممتريا ... فإنني لكمال الشيخ أعتقد

من ينظر الكتب التي أفاد بها ... ينظركلام محقق كله رشد

إن يأت منتسب ينمي إليه بما ... يخالف الحق عن الوالد الولد

فردد اليه بمضمون الثلاثة في ... قيد عن الشيخ لا يجمح بك الحسد

سم وحي فلا تذهب لتلعقه ... أن العقول عن أسباب الردى عقد[41]

قُلْتُ: وصاحب هذا الشعر ليس تجانيا؛ لكنه ممن نجاهم الله تعالى من الحسد على أوليائه وأكرمهم بنصرتهم، و كان حقا علينا نصر المؤمنين.

وأما مقاطعة وسائل الإنكار من كتابٍ أو حديثٍ مفترٍ على أولياء الله تعالى؛ فحتى لا تروج تجارتهم عند أهل الحق؛ فيواجه باليد، واللسان، والقلب، كما في الخبر: (يقوُل: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ ٱلإِيمَانِ"... (رواه مسلم).

ثم يأتي ضرورة إيقاف المنكر بكل الوسائل السلمية التأديبية لإبعاد النعرة والنخوة الجاهلية؛ وتجنب إيقاظ نار الفتنة بين المسلمين من خلال دعوة لا تولد إلا الفرقة والعداوة والبغضاء بين من دماءهم معصومة بكلمة الشهادة.

إلا إذا كان سماع الكتاب، أو الاطلاع عليه؛ لرد على ما فيه من الأ باطيل فليس عندئذ مانع.

فيستنتج من ذلك أن الواجب على المسلم الغيور على دينه لا سيما من كان منهم خالص المحبة للشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه،ان يواجه الإنكار ووسائله.

---

40. هو سيدي عبد الله بن أحمد دام البوحسني؛ [1867 – 1746م] شاعر من بلاد شنقيط؛ مجمع على توقيره وتعظيمه من لدن معاصريه؛ كان بينه وبين إدييج مساجلات شعرية؛ أشار إليها صاحب الوسيط. انظر ترجمته في: أحمد الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، نشر: محمد الأمين الخانجي، القاهرة، 1911م. ص: 288).

41. المرجع السابق: ص: 290.

ثم إن إرضاء أعداء الشيخ - رضي الله تعالى عنه-؛ أمر يسوؤه. وما ساءه يسوء النبي صلى الله عليه وآله مسلم؛ فيجب بمقتضى ذلك هجران المحل الذي يتم فيه الإساءة على الشيخ؛ مما يحتم على كل مريد صادق للشيخ التجاني، وعلى السلطات القائمة في الدول مواجهة هذه التصرفات غير المسؤلة، و التي تثير الفتنة وتدعم عدم الاستقرار في المجتمع بل في العالم.

مُقَاطَعَةُ بِضَاعَةِ الْفِرْيَةِ وَالْفِتْنَةِ:

بَيْتٌ يَحِلُّهُ كِتَابَ الْخِضْـــــرِ ❄ حَلَّ بِأَهْلِهِ جَمِيـــــعُ الضَّرَرِ
فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ مَعًا وَالْعُمْرِ ❄ إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ سَلِيمٍ فَاحْذَرِ
وَإِنْ تُكَذِّبْنِي تَمَهَّلْ وَانْظُـــرِ ❄ تَرَى الَّذِي ذَكَرْتُهُ بِالنَّظَـــــرِ
إِلَّا إِذَا كَانَ لِرَدِّ الْمُنْكَـــــــرِ ❄ فَلَيْسَ مِنْ دُخُولِهِ مِنْ ضَـــرَرِ

قُلْتُ: كما شوهد ذلك بالتجربة في كل محل دخل فيه كتاب المنكر؛ يحل بأهله الضرر في أنفسهم، وأموالهم، وتقصر أعمارهم؛ فليخذركل ذي عقل سليم من عاقبة وخيمة، والمعاند سيشاهد مانقول كفلق الصبح بحول الله وقوته.

مناجاة لاستمرارية الدفاع عن الحق في عقبه:

رَبِّ بِجَاهِ شَيْخِنَا الْمُطَهَّـــــــرِ ❄ وَجَـــــاهِ جَدِّهِ شَفِيعِ الْبَشَـرِ
وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْغُـــــرَرِ ❄ مِثْلَ أَبِي بَكْـــــرٍ وَمِثْلَ عُمَرِ
وَمِثْلَ ذِي النُّورَيْنِ وَالْمُظَفَّـــــرِ ❄ حَيْدَرَةٍ وَحَمْزَةٍ وَجَعْفَـــــــرِ
وَجَاهِ سِبْطَيِ النَّبِيِّ الْمُضَـــــرِ ❄ وَبِضْعَةِ الْمُخْتَارِ شَمْسِ الدُّرَرِ
لَا كَانَ مِنَّا رَبَّنَا مِنْ مُنْكِـــــرِ ❄ عَلَى إِمَامِ الْأَوْلِيَاءِ الْأَزْهَـــرِ
قُطْبُ الْوُجُودِ مَنْبَعُ الْعِرْفَـــانِ ❄ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ بِلَا بُهْتَـــانِ
مُمِدُّ كُلِّ الْكُمَّلِ الْأَعْيَـــانِ ❄ طُرًّا وَمَا الْخَبَرُ كَالْعِيَـــانِ
بَابُ الْفُيُوضَاتِ الْعَظِيمِ الشَّـأْنِ ❄ بِرَغْمِ كُلِّ حَاسِـدٍ وَشَـــانِ
إِنِّي عَلَى عَـدُوِّهِ الْمُعَانِـــــي ❄ جَانٍ وَإِلَّا فَمُجْـنٍ جَـــانِ
أَقَمْتُ دُونَ عِرْضِـهِ لِسَـــانِي ❄ عِنْدَ الطِّعَـــانِ وَشَبَا سِنَانِي
حَتَّى يَؤُوبَ الْحَاسِدُ الْمُعَانِـــي ❄ بِخَيْبَةِ الرَّجَـــا وَبِالْحِرْمَانِ

قُلْتُ: لاشك أن من أعظم ما يسأل الله تعالى به المؤمن عدم الاعتراض والإنكار على أوليائه؛ لما فيه من خسارة في الدنيا والآخرة - نعوذ بالله تعالى من ذلك-، ومما جرب عند العام والخاص أن المنكر عليهم، المتمادي للنيل من أعراضهم لا يموت إلا على سوء الخاتمة - نعوذ بالله تعالى-. فلذلك توسلت إلى الله بنبيه صلى الله عليه وسلم وآل بيته المطهرين، والخلفاء الراشدين، وبشيخنا قطب الأولياء أجمعين؛ ألا يجعل فينا، ولا منا، ولا معنا شقيا.

وقولي: وما الخبر ..؛. إلخ - فلعل معترضا يعترض و يقول: مجرد عاطفة جياشة؛ وإني - ولله الحمد - تحدثا بنعمة الله تعالى، ما قلت ذلك عن ظن و لا

تخمين ؛ بل مشاهدة حقيقية، و أسرار ذوقية، وكشوفات صحيحة ، ولي في ذلك ما يثلج قلب المحب لو أني بحت به لكن السكوت من ذهب.

وقولي: الشَّأْنُ: الأولى، صفة للعظيم؛ كما في القاموس. وشاني: الثاني في العجز: المبغض؛ وبين الشأن، والكلمة الأخرى: شاني: جناس تام. وقولي: إني على عدوه ..؛ إلخ - إشارة إلى قول القائل :

أذب عن حسبي ومالي وزبونـــات أشوش تيحان
وأني لا أزال أخا حروب أذا لم أجن كنت مجن جان

والتيحاني: الجبان.

وكذلك أنا دون عرض الشيخ رضي الله عنه لا أزال أخا حروب ... إلخ ؛ ولهذا قلت: أقمت دون عرضه ... ؛ لأن الطعان نوعان: منه ما هو حسي، و ما هومعنوي؛ فالحسي معلوم، وقابلته: بالشبا: سنان، والشبا: الحد.

والمعنوى: هو الطعن بالقول في الأعراض؛ وفي كلا الحالين أقف دون الشيخ؛ فأفديه بنفسي وعرضي ؛ و لسان حالي يقول:

خل سبيل الحرة المنيعـه إنك لاق دونها رييعـه
بكفـــــي خطية منيعه أولا فخذها طعنة سريعه

ولذا قلت: بعد هذا: أما درى.

ولعل من يقف على هذا الجواب قد يرى أنني تشددت مع المنكر، ولم ألطف به، كما هي عادة الدعاة.

فالجواب: أن المنكر لا يراعي مع الشيخ التجاني رضي الله عنه حرمةالأدب، و الانتساب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا مكانة أولياء الله، والجزاء من جنس العمل

وفي الخبر: (مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلاَ تَكْنُوا).
وقال تعالى: ﴿مَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة: 194). وفي قراءة: (بمثلي).

أَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِـهِ أَنَّ اهْتِضَامْ ❊ عِرْضِ إِمَامِنَا صَعْـــبُ الْمَرَامِ
كَمْ دُونَهُ مِنْ بَاسِـــلٍ كَمِـــيٍّ ❊ يَـرُدُّ زُورَ قَوْلِهِ الْفَـــــرِيِّ
شَهْمُ الْجَنَانِ ذَرِبُ اللِّسَـــــانِ ❊ حَازَ الْفَصَاحَةَ مَعَ الْبَيَـــــانِ
رَبِّ اسْقِنَا مِنْ سَلْسَبِيلِ كَوْثَـــرٍ ❊ طَرِيقُهُ عَلَى مَمَـرِّ الْأَعْصُـــرِ
لِيَشْمَلَ الْكُلَّ ضَمَانَ الْمُضَـــــرِ ❊ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ عَدَّ الْمُطَـــــرِ
وَارْزُقْ لَنَا الْعُلُوَّ فِي الدَّارَيْـــنِ ❊ رَبِّ بِطَـهَ سَيِّدِ الْكَوْنَيْـــنِ
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ كِرَامِ الْبَشَـــرِ ❊ مِنْ بَعْـدِهِ وَالْمُقْتَفِي لِلْأَثَـــرِ
هُنَا انْتَهَى بِحَمْـدِ رَبِّ الْفَلَـــقِ ❊ مَا رُمْتُ مِنْ نَظْمٍ نَسِيجٍ مُونَـقِ
أَسَّسْتُهُ بِوَاضِحِ الْبُرْهَـــــانِ ❊ فِي الرَّدِّ عَنْ إِمَامِنَا التِّجَـــانِيِّ
ثُمَّ صَلَاةُ اللهِ وَالسَّـــــلَامُ ❊ عَلَى النَّبِيِّ مَا شَـــدَا الْحَمَامُ
وَآلِهِ الْمُطَهَّرِينَ الْكُـــــرَمَا ❊ وَصَحْبِهِ وَكُلُّ مَـــنْ لَهُ انْتَمَى

أما درى: ما علم .
والهضم: الظلم ، وفي التاج: هضم الطعام يهضمه: نهكه، ومن المجاز هضم فلان فلانا، إذا ظلمه، وغصبه، واستولى على حقه، وبَسُلَ الرجل بالضم فهو باسل، وبسل، ككتف وبسيل: كأمير، وتبسل وبسيل: كلاهما عبس غضبا وشجاعة، والباسل أيضا: الشجاع ،جمعه بسلاء ،ككتباء.

والكمي: كغني : الشجاع الجرئ، كان عليه درع أو لابس سلاح، من كمى نفسه أي سترها بالدرع اهـ من التاج أيضا.

والفرى: الكذب. اختلقه كافتراه. شهم الجنان: ذكي الفؤاد، المتوقد الجلد، وذرب اللسان: أي: حاد اللسان كما في «التاج» أيضا.

رجوت من الله تبارك وتعالى بجاه حبيبه؛ من اصطفاه وجاه أصحابه من اجتباهم؛ وجاه شيخنا ووسيلتنا؛ من خصه مولاه أحمد بن محمد التجاني - رضي الله عنه-، أن يديم لنا السقي والعل بعد النهل؛ من سلسل كوثر فيوضات أسراره المكنونة حسا ومعنا؛ و أن يديم لنا رضاه، ورضا رسوله، ورضا الشيخ التجاني - رضي الله عنه-.

خاتمة نافعة:

وهي كذلك للمعتقد في نفعها؛ غير أنها للمنتقد رادعة؛ وتوضح للقارئ؛ ما حملني على هذا النظم وشرحه في تزييف قول من لم يبلغ وابله قطرة من رشحه.

لقد كان الأجدر به أن يترك هملا؛ فلا يستحق أن يضيع فيه أحد قولا، ولا عملا؛ لأن الشيخ - رضي الله عنه – لا يضره إنكار منكر، ولا افتراءُ مُفْتَرٍ؛ ففضله أشهر من نار على علم، وكثرة مزاياه لا يحيط بها بنان، ولا مجاجة قلم. وفي المعنى :

فكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

لكني بينما أعاود الن في الجواب على المنكر، أقدم رجلا وأؤخر أخرى؛ لعلمي أن في أهل الطريقة من بين العلماء الأجلاء، وأسود الملاحم الخوادر، من لا أرى نفسي في جنبه ندا، ولا مثيلا؛ مَنْ قد يقوم برد مفحم على المنكر، مع أن حجته داحضة، وينا بيع علومه غائضة.

إلا أنى رأيت الشيخ التجاني - رضي الله عنه - وجرى لي معه ما أيدني على الرد على المنكر؛ فظهر من تيسير الأمر؛ مافاق القياس وتجاوز ما كان ينتظر، فصرت كأنما يملى علي من مدد رباني؛ مستوف للحجج القاطعة، والأدلة الدامغة، من القرآن والحديث، وما ذهب إليه أكابر العلماء؛ حتى تم الشرح بحمد الله تعالى؛ وافيا بالمقصود، وحجته قائمة على الحق؛ لايتجاهلها إلا جاهل، أو حاقد على الأولياء معاند.

ونلت ذلك كلا من مدد فيض شيخنا - رضي الله عنه تعالى عنه-.

وساندني أنيس قلبي، وقرة عيني الذي أستمد من إنارته و علومه و من طيب ثماره أخي وحبي الشيخ السالك الواصل؛ والخليفة الكامل؛ سيدي أحمد

سكيرج؛ عالم الأمة في وقته، نفعنا الله ببركاته؛ وأطال مدة حياته؛ لأنه أشار علي بشرح لطيف، على هذا النظم المنيف.

فجاء - بحمد الله- كما يسر الصديق، ويسوء العدو الغريق، مع كثرة الأشغال - لله الحمد-؛ ومع أني جمعته في مدة يسيرة لا يتأتى جمع مثله فيها إلا عن تأييد رباني، وإلهام نوراني.

والحمد لله رب العالمين اولا وآخرا ، ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

❄

وكان الفراغ من تبييضه عشية يوم الإثنين الثاني من المحرم

عام ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف (1348م) من الهجرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة، وأزكى السلام

وآخر دعوانـــــا أن

الحمد لله رب

العالمين

تَقَارِيظُ الْكِتَابِ

هذه تقاريظ لهذا النظم المبارك، وشرحه المنيف:

[1]

[تَقْرِيظُ خَدِيمِ الْحَضْرَةِ التِّجَانِيَّةِ؛ الْقَاضِي سَيِّدِي أَحْمَدْ سُكَيْرِجْ الْعِيَاشِيِّ]

بسم الله الرّحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

أحمد الله المحمود بكل حمد، وأشكره على نعمه التى لا تحصى بِعَدٍّ،

ولا تحصر بحد، وأصلي وأسلم على خير خلق الله، وعلى آله و من والاه.

أما بعد:

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

فإنه إذا كان للحق دليله من نفسه؛ على أنه الحق، وليس للباطل سيطرة على الحق، وإن كابر فيه المعاند بغير حق بين الخلق.

فلا بدع إذا كان هذا التوليف، - والتصغير للتعظيم!- لمؤلفه الخليفة المعظم، القائم بنصرة الحق في ميدان السباق؛ على غيره من المقدمين فى عصره تَقَدَّمَ؛ السيد الحاج محمد انياس؛ زاد الله في معناه، وبلغه في الدارين متمناه. فإنه رضي الله عنه قام يناضل عن الحق. وقد نصره الله على الخارف الجانى؛ فإن للحق صولة لا يقف أمامه الباطل إلا ناكص الرأس؛ في الجلوة والخلوة.

ولقد لقي الصوفية، منذ ظهرت طرقهم؛ ممن تحزبوا عليهم إلى الآن ما أعانهم موفقهم على تحمله بين من شنوا عليهم غارات العدوان؛ فما لهؤلاء المنكرين غير جزاء الطعن الذين عادوا به من الخير محرومين، وعلى فرض إخلاص نيتهم في

انتقاداتهم للحق؛ مسئولون أمام الحق عما أثاروه من قدح في أعراض برآء، وتكفير من يقول : (رَبِّيَ اللهُ) بين الخلق ، من جهَّال وعلماء.

ألم يكف من ينكر على الطريق ما حل فى زماننا هذا؛ مما حل بالإسلام، وأهل العقول من حولهم ينظرون إلى ما يصدر ممن يزعم أنه من العلماء الأعلام؛ يدافع بزعمه عن الكتاب والسنة؛ وهو موقظ لما كان في غنى عنه من إيقاد نيران الفتنة. ولعمري إن من أعرض عن تأليف القلوب، واشتعل بتأليف يبدي فيه ما لا ينبغي التطلع عليه من العيوب؛ لخارف جان عند أهل العلم الصحيح في كل زمان؛ ولو أعطى مسكة من العقل؛ ما ألقى بنفسه إلى التهلكة؛ فإنه ما جنى فى رده على التجاني إلى وبالا ووباء.

انتشرت جرائم إذايته في أمثاله - ممن أعمى الله بصرهم، وطمس بصيرتهم-؛ فلم ينهضوا بما فيه نفع الأمة، ولكن تقاعدوا عن أداء الواجب عليهم في انتشالهم من أوحال الظلمات المدلهمة.

ولو اشتغلوا بإصلاح ذات البين، ومراجعة ما تراكم على القلوب من الغين، لقرت لهم، ولغيرهم العين، ولكن أبى الله إلا أن يعمل كلّ على شاكلته؛ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا.

ونحن مع أهل الحق - ولله الحمد - معتقدون بأن الصوفية على هدى من ربهم : وما نسب لجلهم؛ مما لا يوافق الحق في نظر من لا يؤوله= لا نلتفت إليه، ولا يفضى بنا الإعراض عنه إلى تكفيرهم. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وأشهد الله وملائكته وأهل الإيمان؛ إنَّ جل ما قاله الخارف الجانى= مكذوب على الشيخ التجاني. وجميع ما تَقَوَّلَهُ وشوَّهَ به وجه الحق= مردود عليه.

ولقد تكفَّل بحصر ما طوَّل به وقصَّر، ورد عليه ترهاته هذا السيد الخليفة الأشهر؛ لا زال راقيا في الرتب المنيفة؛ وفيما قاله كفاية، وبيد الله الهداية.

كتبه خديم الحضرة المحمدية ، عبد ربه أحمد سيكر ج؛ أمنه الله تعالى.

وكتب العارف بالله تعالى: سيدى أحمد سكير ج - رضي الله عنه- مقرظا:

لِلهِ قَوْمٌ حَبَاهُمْ مِنْهُ مَكْرُمَـــــــةً ❄ أَقَامَهُمْ لِانْتِصَـــــارِ الْحَقِّ فِي الْخَلْقِ

مِنْهُمْ أَمَدَّ بِعِرْفَانٍ مُحَمَّدِهِـــــــمْ ❄ أَنْيَاسُ فِي رَدِّ تُـرُّهَـــاتٍ فِي الْحَـقِّ

فَانْظُرْ إِلَى الْخَارِفِ الْجَانِى فَقَدْ كَتَبَتْ ❄ يَدَاهُ مَـا رَدَّهُ أَنْيَاسُ بِالْحَـــــــقِّ

لَئِنْ أَطَـالَ ابْنُ مَا يَأْبَى بِبَاطِلِـــهِ ❄ يَدًا فَقَدْ قَـدَّهَا أَنْيَاسُ بِالصِّـــــدْقِ

لِلهِ دَرْكٌ يَا أَنْيَاسُ إِنَّـــــــكَ لَمْ ❄ تَدَعْ لَهُ جَوْلَةٌ فِي حَوْمَةِ السَّبْـــــقِ

فَعَادَ وَهُوَ الْمُعَـــــادِ لِلْوِلَايَـــةِ فِي ❄ هُدَاهُ يَلْطَمُ خَدَّيْـهِ عَلَى الطُّـــــرُقِ

وَلَوْ دَرَى الْحَقَّ حَقًّـا وَهُوَ يَجْهَلُ مـا ❄ يَقُولُهُ لَدَعَا لِلْحَقِّ بِالرِّفْـــــــــقِ

لَكِنَّهُ مَا دَرَى حَقًّـــــا فَكَفَّـــرَ مَنْ ❄ هُمْ ذَوُو الْحَقِّ وَهُوَ نَاجِحُ الشَّـــدَقِ

فَقَيَّضَ اللهُ أَنْيَاسًا فَبَصَّـــــــــرَهُ ❄ بِالْحَقِّ فِي أَهْلِهِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّـــرْقِ

لِلهِ دَرُّكَ يَا أَنْيَاسُ نِلْتَ هُـــــدًى ❄ فَقَدْ أَتَيْتَ بِحَقٍّ فِي الَّذِى تُلْـقِـــــي

دُمْ فِي عِنَايَةِ اللهِ تُهْدِي لِلْهُدَى وَعَلَى ❄ بَغِيضِ أَهْلِ الْهُدَى تَرْمِي شَجَا الْحَلَقِ

[2]

تَقْرِيظُ عبد الحفيظ

الحمد لله وحده :

و صلى الله على سيدنا محمد و آله و حزبه .

قد طالعت ما كتبه أخونا في الله؛ الفقيه العالم العلامة؛ الدراكة الفهامة؛ خليفة القطب المكتوم: سيدي الحاج محمد بن عبد الله؛ فوجدته مفيدا في بابه، كفيلا بالمقصود في إيجازه، وإطنابه، والظن بالله جميل في مجازاة مؤلفه؛ لأنه- سبحانه و تعالى -؛ لا يضيع أجر من أحسن عملا، فقد قام بنصرة الحق و أهله، وأحسن الدفاع عن الختم و حزبه، (لمثل هذا فليعمل العاملون).

(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

و كتب خديم الحضرة التجانية 22 سبتمبر عام 1929 م

عبد الحفيظ

[3]

تَقْرِيظُ عبد الكريم بن العربي الفاسي بنس التجاني

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله صحبه وسلم تسليما .

وبعد – فقد أطلعني صفيّي القاضي العلامة سيدى أحمد سيكرج على هذا التأليف البديع في بابه المسمى بـ"المرهفات القطع" وشرحه ، للإمام الهمام خليفة شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم سيدي أحمد التجانى؛ سيدى الحاج محمد بن عبد الله انياس؛ زاد الله في معناه، واقترح عليَّ تقريظه بعد مطالعته؛ فإذا هو موف بالمراد فى رد أهل العناد؛ سالك نهج التحقيق؛ كاسر لأجنحة من رمى الشيخ بالزور والفجور؛ دامغ لأباطيله؛ بواضح الأدلة، والإصابة؛ لم يبق لقائل ما يقول، فجزاه الله بأحسن الجزاء. فلقد قام بالواجب عن جميع الأصحاب.

وليس يصح في الاذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه بيمينه، عبد ربه، وأسير كسبه، عبد الكريم بن العربى الفاسي بنيس، التجانى طريقة، كان الله له في الدارين: وقلت:

أَعَقْدُ جُمَانٍ أَمْ طِـــرَازٌ مُـــوَشَّحٍ وَعَضْبُ يَمَانٍ مُرْهَفٌ وَمُـــوشَّحُ
بَلَى ذَاكَ تَأْلِيفٌ أَتَانَا بِشَـــــــرْحِهِ يَرُدُّ عَلَى مَـــنْ لِلْأَبَاطِيلِ يَجْنَـحُ
أَلَا يَا ابْنَ عَبْدَ اللهِ جِئْتَ بِوَاضِـحٍ مِنَ الْحَقِّ وَالتَّأْيِيدِ لِلْحَقِّ أَوْضَـحُ
وَنِلْتَ رِضَا الشَّيْخِ التِّجَانِيِّ بِلَا خَفَا وَنُجْحًـا وَنَصْرُ الْحَقِّ بِالْحَقِّ أَنْجَـحُ

[4]

[4]

تقريظ محمد الرافعيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، ودائمه وواجبه وملازمه.

وصلى الله على سيدنا خير العوالم؛ خلاصة الخلاصة من بني هاشم، وعلى آله الأعلام، وأصحابه العظام.

أما بعد:

فقد اتفق للفقير إلى الله تعالى محمد الرافعى -كان الله له-، مطالعة هذا الرجز، وشرحه؛ للعالم الفاضل الأديب أبى عبد الله محمد السوداني الكولخي، في الرد على المخرف الجاني، والمعرف بما لا يعرف في جانب القطب التجاني؛ ألا وهو المبتدع المتنطع؛ محمد الخضر بن مايابى الجكنى، وتبين افتراءاته، واجتراءاته، وفضيحة دعاويه الخاوية، واحتجاجاته الواهية، فوجدته قد أصاب ما أرد؛ وبلغ من الطعن في كبد المفتري المتهور حقيقة الرد، ووقف بوجوه سديدة، وشواهد قوية شديدة، وبراهين قويمة عتيدة؛ فجزاه الله عن الذب عن أولياء الله الكبار، وأقطاب المعارف الأخيار: المثوبةَ الحسنى، ونوَّرَ ولايته الباهى الأسنى.

وكتبه فى ربيع الثانى 1348 هجرية .

[5]

تَقْرِيظُ أحمد أبى شعيب الأزموري، الشاذلي

الحمد لله:

لا أعظم على المؤمن الخاشع المقبل على شأنه؛ من أن يسمع تكفير مطلق الآحاد من المؤمنين؛ فضلا عن الدعاة إلى الله المقربين.

فقد ابتلى الله تعالى هذا الدين في هذا القطر بطائفتين تعملان على إزالة تعظيمه، ومحو تكريمه.

فطائفة تلحد فيه، وتدعو إلى نبذه.

وطائفة تلعن كبراءه، وتؤذيهم بإخراجهم منه.

وقد أطْلعنا صفينا في الله، الفقيه العلامة الربانى، القاضى أبو العباس أحمد سكيرج أحسن الله إليه على ما كتب هذا الأديب نثرا ونظما في انتصاره لطريقة شيخه: القطب الجليل، المنصور بكثرة الاتباع، من علماء وكبراء؛ جيلا بعد جيل؛ ردًّا على ما فعله بعض من اتبع الهوى، من كتابٍ كَتَبَهُ؛ يكفر به والعياذ بالله الشيخ العارف بربه الشريف: سيدى أحمد التجاني الهمام؛ رضى الله عنه وأرضاه، وجعلنا من المحبين له ولأمثاله من أهل الله...

وهذا الكتاب؛ - وإن كنا لم نطلع عليه، ولا نحب أن نراه؛ وقد أحسن الله للناس بإيقافه، والتحذير منه-؛ فقد حصل لنا الخبر الصادق من كثير من أهل الخير والعلم، وناهيك أن فيهم شيخنا: واسع العلم، المختص بفن البحث والانتقاد بالانصاف؛ إلا نقدا عد النظر والإشراف: واحد النظار، سيدى محمد الرافعى، رفعه الله بأن فيه هوى مطاعا وتحاملا؛ نعوذ بالله من الطغيان، وشر الشيطان.

وقد روى ابن عمر رضي الله عنه كما في الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر ، فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال؛ وإلا رجعت عليه).

فما كان أولى من اشتغل بهذا أن يملأ وقته بذكر الله؛ بل لو ملأه بالفراغ؛ لكان خيرا وأجدى من إخراج رجل من أعظم رجال الله المحمدية دينا وعلما وحالا؛ وإرشادا لطريق الخير، اتبعه الألوف المؤلفة في كل مكان وزمان؛ على عبادة الله والانقياد إليه، والاجتماع عليه، وأحبوه من أجل ذلك؛ من دين هو من أكبر الداعين إلى الاهتداء بهديه، والاقتداء به. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سوء أعمالنا.

وكتبه محب الصالحين : أحمد أبي شعيب الأزموري، الشاذلي طريقة؛ أحياهُ الله وأماته على محبة أهل الله وصلى وسلم على سيدنا محمد.

[6]

تقريظ الشيخ محمد فال بن باب العلوي

وقال الإمام تاج العارفين، الشيخ محمد فال ابن باب العلوي - رضي الله عنهما- آمين مقرظا...:

أَسَاءَ العِدَى نَظْمُ الإِمَامِ مُحَمَّدِ وَأَبْطَلَ تَلْبِيسَ الْجَهُولِ الْمُعَرْبِـدِ
فَيُبْرِمُ تَكْفِيـــرَ الإِمَامِ وَحِزْبِـهِ وَيَنْكُثُ ذَاكَ الْغَزْلُ بِالنَّقْلِ بِالْيَدِ

[7]

تقريظ محمد سعيد علي المالكي التجاني

وقال خادم الحضرة النبوية محمد سعيد على المالكى التجاني مقرظا:

يَا مَنْ أَتَى بِالْمُرْهَفَاتِ الْقُطَّعِ ... للهِ دَرُّكَ مِنْ هُمَامٍ لَوْذَعِيّ

قَدْ قَامَ مُنْتَصِرًا لِأَكْبَرِ عَارِفٍ ... بِاللهِ رَبِّي ذِي الْجَلَالِ الْأَرْفَعِ

هُوَ قُطْبُ أَقْطَابِ الْوُجُودِ الْمُرْتَضَى ... خَتْمُ الْوِلَايَةِ ذُو الْجَنَابِ الْأَوْسَعِ

ذَاكَ الْمُسَمَّى بِالتِّجَانِيِّ أَحْمَدَ ... مَنْ فِي الْوَرَى بِمَثِيلِهِ لَمْ نَسْمَعِ

شَيْخُ الْطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ مَنْ لَهُ ... مَدَدٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى لَمْ يَقْطَعِ

أَنْعِمْ بِهِ وَالْمُنْتَمِينَ لَهُ وَمَنْ ... وَالَاهُ مِنْ أَهْلِ الْقُلُوبِ الْخُشَّعِ

لَا سِيَّمَا أَنْيَاسُ ذُو الْفَضْلِ الَّذِي ... بِمُحَمَّدٍ بَيْنَ الْفَطَاحِلِ قَدْدُعِي

إِذْ قَدْ أَتَى بِأَدِلَّةٍ كَالْمُرْهَفَا ... تِ الْقَاطِعَاتِ لِأَصْلِ إِفْكِ الْمُدَّعِي

لَا زَالَ مَرْضِيًّا وَمَرْعِيًّا بِعَيْـ ... ـنِ اللُّطْفِ فِي حِرْزٍ مَنِيعٍ أَمْنَعِ

بِالْمُصْطَفَى وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ ... وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعٍ لِلتُّبَّعِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ثُمَّ عَلَيْهِمُو ... مَعَ كُلِّ عَبْدٍ عَابِدٍ مُتَوَرِّعِ

مَا قُلْتُ مُخْتَتِمًا: أَلَا دُمْ طَيِّبًا ... يَا مَنْ أَتَى بِالْمُرْهَفَاتِ الْقُطَّعِ

تَسْجِيلُ ناسخ مخطوط الكتاب؛ المعوَّل عليه في الطبعة الأولى والثانية للكتاب:

تمَّتِ الكتابة بحمد الله وعونه على يمين المبتدى المستغفر لنفسه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات البشير (محمد بن راشد) الشِّيُولِيِّ نسبا، القِنَّارِيِ، الدُّونديُّ الفُوتِيِّ وطنا؛ كتبها للعارف الربانى العلامة: الخليفة الحاج محمد بن الحاج عبد الله انياس الشهير بـ "الكولخي" في جميع أقطار الاسلام قاطبة؛ أطال الله حياته، ونفعنا بفيضه، وفضله ومدده آمين؛ خدمةً للعلم الشريف، خصوصا لمحو ترهات المهتور عن جانب الشيخ التجاني، رضي الله عنه، ونفعنا بحبه وجعلنا من حزبه، وأماتنا في الفناء في حبه، وحب جده صلى الله عليه وآله وسلم ... آمين .

مُلْحَــقُ الْكِتَــابِ

كَلِمَةٌ حَوْلَ الْمُلْحَقِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم، وعلى آله حق قدره، ومقداره العظيم، من بعث رحمة للعالمين؛ بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فتركنا على المحجَّة البيضاء؛ ليلها كنهارها؛ وجعل العلماء العاملين ورثة؛ فورثوا الحال والمقام؛ ورفعوا نور العلم والإيمان؛ ليدركوا خفايا العلوم، وحقائق النصوص، فغاصوا في بواطنها، عن طريق الاستنباط؛ مستمسكين بالتقوى، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ (سورة البقرة: 282)، فجدوا واجتهدوا، وجاهدوا فنالوا مزية قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾. (سورة القصص: 69).

فكانوا ذوي أَيْدٍ طِوَالٍ في شتى العلوم والفنون؛ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا؛ حتى أشير إليهم بالبنان؛ وسهروا الليالي، ذكرا ومذاكرة، وتذكيرا، وساروا كالنحل في دويِّهم، حتى فتح الله عليهم، وولَّاهم مفاتح الكنوز،

بعد أن نالوا قربةً، فجاءوا بفهم جديد، لا بدين جديد؛ لأنهم أولياء الله المقربين؛ أصحاب الطُّرق الصوفية القائمة على التصفية والتزكية؛ فصدقوا الله ما عاهدوا عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

فقيض الله لهم شياطين الإنس والجن؛ سنة الله في خلقه، منذ بدء الخليقة؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فاعتقد شياطين الإنس والجن، المستكبرون؛ أنهم ألموا بكل العلوم والفنون، ولم يقفوا عند النص الصريح، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾. (سورة الإسراء: 85)، واعتقدوا أن في النصوص التي يقفون عندها، حصرٌ لكل المعارف، والمسائل، ولم يلتفتوا إلى قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾. (سورة النحل: 8). فجاسوا خلال الديار، وجمعوا كيدهم، فأرسلوا بوابل من التكفير، والتلعين، والشيطنة، غير أن من يحاولون المساس بهم؛ قوم فوق الرذائل، والشبهات، والترهات.

وكان من بين هؤلاء، ابن الموقت، الذي تعرض لطرق أهل الله طرا؛ طعنا، وذمًّا، وشتما، وافتراءا على علماء أجلاء، في مختلف الطرق، بما لا يعرفونه عن أنفسهم، ولا علمه سواه وأمثاله، ظلما، وجورا.

فقام حامي الطريقة المحمدية، والشريعة الغراء، والطريقة التجانية، القاضي الشيخ أحمد سكيرج، رضي الله عنه، وأرضاه، وجميع محبيه، وأحبائه، في مؤلفه الجليل: «الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوئ الوقتية»، في جزئه

الثاني؛ حيث تناول بموضوعية، وإتقان، وعلم، وإيمان، دعاويه العريضة الملفقة؛ ففند افتراءات ابن الموقت، حتى تبين الرشد من الغي.

طبع كتاب الشيخ سكيرج سنة (1357هـ= 1938)، غير أنه لم يكتف في الرد على أن يقوم به وحده، وكان يكفي لو فعل. ولكنه أراد أن يشارك في الأجر، من هم لذلك جديرون، فكان من ضمن من اقترح عليه الرد، الخليفة الحاج محمد انياس الكولخي، فجاءت، إجابته سريعة وصريحة، فألحقتُها بسابقتها في الرد، «الجيوش الطلع بالمرهفات القطع» هذه؛ وإليكم نص ما جاء به السيد أحمد سكيرج، وما قاله عن الخليفة الحاج محمد.

أما رد الخليفة الحاج محمد انياس فقد جاء في قصيدتين؛ ليدرك الباحث والمتأمل أن الميدان ميدانه، له فيه جولات، وصولات، في الذب عن طرق أهل الله، وعن الملة الغراء؛ بكل ما أوتي من علم ويقين.

رَدٌّ آخَرُ لِمُنْكِرٍ آخَرَ وَهُوَ ابْنُ الْمُوَقِّتِ

من نظم الخليفة الأكبر، العلامة الأشهر، ذي المئاثر العديدة، والمؤلفات المفيدة، منور البصيرة، ومطهر السريرة، الشيخ الخليفة الحاج محمد انياس؛ وضعها إجابة لاقتراحنا عليه، ونحن نثبتها برمتها هنا؛ جازاه إلهنا؛ وقد صدرتها بقولي:

وَهُنَا يَقُـــولُ مُحِبُّنَا الْمَوْلَى مُحَمْـــ ۞ ـمَـــدُ الرَّضِيُّ انْيَاسْ ذُو الْعِرْفَـانِ

نَالَ الْخِلَافَـــةَ فِي الطَّرِيقَةِ عَنْ أَبِيـ ۞ ـهِ عَـــنِ الْإِمَامِ الْعَارِفِ التِّجَانِي

فَسَقَى أَحِبَّتَهُ بِتَحْقِيـــقٍ مِنَ السْـ ۞ سِرِّ الْمَصُـــونِ بِأَكْبَـــرِ الْكِيـــزَانِ

وَبِهِ غَدَا السِّنِغَالُ كَعْبَةُ قَاصِـدِي الْـ ۞ ـخَيْرِ الْكَثِيـــرِ، وَطَالِبِي الْإِحْسَـــانِ

أَنْوَارُهُ قَدْ أَشْرَقَتْ فِي أُفُقِـــــــهِ ۞ وَبِهِ اسْتَضَاءَتْ ظُلْمَـــــةَ الْأَذْهَانِ

للهِ مِنْ شَيْخٍ تَكَامَلَ فَضْلُـــــــهُ ۞ قَدْ حَلَّ مِنْ قَلْبِي رَفِيـــــعَ مَكَانِ

فَاعْرَفْ بِهِ فَهْوَ الْمُعَظَّمُ وَالْـــــــ ۞ ـمُقَدَّمُ بَيْنَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

فَلْنَأْتِ فِي هَذَا الْمَحَلِّ بِمَا بِـــــهِ ۞ يُسْبِي الْعُقُولَ لِحُسْنِـــــهِ الْفَتَّانِ

ونصها:

1- يَا مَنْ يُحَاوِلُ سُبَّـــــةُ الْإِيمَانِ ۞ بُؤْ بِالشَّقَا وَالطَّرْدِ وَالْخُسْـــرَانِ

2- أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَهْـــلَ اللهِ لَا ۞ يَشْتَاهُمْ إِلَّا أَخُـــو الْخِذْلَانِ

3- فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَوْ فَرُدَّ مُسْتَـــوْبِلًا ۞ مَنْ سَبَّهُمْ لِلزَّيْغِ وَالطُّغْيَـــانِ

4- أَوَ لَمْ تَكُنْ تَخْشَى بِسَبِّ الْأَوْلِيَـــا ۞ أَهْلِ الْإِلَهِ السَّادَةِ الْخُلَّصَـــانِ

5- مَقْتَ الْإِلَهِ وَسُوءَ عَاقِبَةٍ بِـــــهِ ۞ تَلْقَى الشَّقَا بِعَدَاوَةِ الرَّحْمَـــنِ

6- مَنْ قَالَ قَدْ هَلَكَ الْأَنَامَ فَهَـــالِكٌ ۞ مِنْ قَوْلَةٍ صَحَّتْ عَنِ الْعَدْنَـانِي

7- وَاعْلَمْ بِأَنَّ مُوَحِّدِي رَبِّ الْـوَرَى ۞ وَمُصَدِّقِي الْهَادِي ذَوو إِيمَـــانِ

8- عَمَلًا بِظَاهِرِ قَوْلِهِمْ عَصَمُـوا بِـهِ ۞ وَحِسَابُهُمْ فِي ذَا عَلَى الدَّيَّـــانِ

9- إِنْ لَمْ تُصَدِّقْ ظَاهِرًا مِنْ حَالِهِـمْ ۞ مِمَّا يُوَافِقُ خَالِصَ الْأَدْيَـــانِ

10- هَلَّا شَقَقْتَ عَنِ الْقُلُوبِ وَذَا كَفَى ۞ فِي نُكْرِ فِعْلِكَ مِنْ عَظِيمِ الشَّـانِ

11- طُرُقُ الْمَشَايِخِ أَسْنَدُوهَا كُلُّهَـــا ۞ لِلْمُصْطَفَى فِي السِّرِّ وَالْإِعْـلَانِ

12- مِثْلَ التِّجَانِيِّ شَيْخِنَا بَدْرِ الْعُلَـــى ۞ شَيْخِ الْمَشَايِخِ دُرَّةِ التِّيجَـــانِ

13- إِنَّ الْمَشَايِخَ لَوْ عَلِمْتَ ذَوُو هُدَى ۞ يُهْدِي بِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَزْمَـــانِ

14- قَدْ جَدَّدُوا دِينَ النَّبِيِّ وَهَدْيِـــهِ ۞ مُتَمَسِّكِينَ بِطَاعَةِ الْمَنَّـــانِ

15- قَامُوا لِإِرْشَادِ الْقُلُوبِ جِبِلَّـــةً ۞ مِنْهُمْ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَـانِ

16- فَهُمُ الْهُدَاةُ إِلَى الْإِلَهِ بِحَالِهِـــمْ ۞ وَبِحِكْمَةٍ جَذَبَتْ ذَوِي الْإِيقَـانِ

17- كَمْ أَيَّدُوا بُرْهَانَهُمْ بِكَرَامَـــةٍ ۞ أَمْسَى لَهَا الْأَعْدَا ذَوِي إِذْعَـــانِ

18- إِنَّ الْكَرَامَةَ: مَنْ نَفَى وُجْدَانَهَـــا ۞ لِلْأَوْلِيَاءِ فَذَا أَخُو بُهْتَـــــانِ

19- إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ أَنَّهَا صَحَّتْ لَهُـــمْ ۞ وَلِذَاكَ مَعْصُومٌ بِكُلِّ زَمَـــانِ

20- فَاللهُ حَارَبَ مَنْ يُحَارِبُ الْأَوْلِيَـا ۞ وَ اللهُ غَالِبُ كُلِّ ذِي سُلْطَـــانِ

21- وَكَذَلِكَ سَبُّ الْعَالِمِينَ وَقَذْفِهِـمْ ۞ عَمَلٌ يَقُودُ لِأَسْوَءِ الْخُسْـــرَانِ

22- قَوْمٌ كِرَامٌ وَارِثُونَ لِلْأَنْبِيَـــاءِ ۞ خَافُوا الْإِلَهَ بِمُحْكَمِ الْقُـــرْآنِ

23- أَكْرِمْ بِهِمْ فِي عِصْمَةٍ فِي دِينِنَـــا ۞ كَمْ أَرْشَدُوا مِنْ تَائِهٍ حَيْـــرَانِ

24- مِنْهُمْ قُضَاةٌ يُفَصِّلُونَ بِفَيْصَـــلٍ ۞ مَاضِي الْمَضَارِبِ فِي الْخُصُومِ يَمَانِ

25- لَوْ لَا الْقُضَاةُ الْعَادِلُونَ بِحُكْمِهِمْ ۞ مَا انْقَادَ مُجْنًى عَلَيْهِ لِجَـــانِ

26- جَعَلَ الْأَقَارِبُ وَالْأَبَاعِدُ عَدْلَهُـمُ ۞ وَعُلُومَهُمْ فِي كَفَّتَيْ مِيـــزَانِ

27- وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاعْلَمْ: سَبُّهُمْ ۞ يُصْلِي ذَوِيهِ حَرَارَةَ النِّيـــرَانِ

28- فَاللهُ طَهَّرَهُمْ وَأَذْهَبَ عَنْهُـــمْ ۞ رِجْسَ الْغَدَاةِ بِمُحْكَمِ الْفُرْقَـانِ

29- وَسَقَاهُمْ غَدْوًا رَحِيقَ جَنَانِـــهِ ۞ وَسَقَى عَدَاهُمْ مِنْ حَمِيـــمٍ ءَانِ

30- أَهْلُ الْبَتُولِ وَبَابُ عِلْمِ الْمُصْطَفَى ۞ أَهْلُ الْعَبَاءَةِ طَاهِـــرُوا الْأَرْدَانِ

31- إِنِّي احْتَمَيْتُ بِجَاهِهِمْ وَحَمَيْتُهُـــمْ ۞ بِمُهَنَّدِي وَبِسَاعِدِي وَلِسَـــانِ

32- أُسْقِى بِوَقْتِي مَنْ لِمُقْتٍ يَنْتَمِـــي ۞ كَأْسًا زُعَافًا فِي لَهَى الظَّمْـــآنِ

33- أَوَ مَا عَلِمْتَ وَقَدْ نَفَيْتَ الْمُنْتَمِـي ۞ لِذَوِي السَّرَارِي مِنْ ذَوِي الْإِيمَانِ

34- إِنَّ الصَّحَابَةَ وَالْأَئِمَّةَ فِيهِـــمْ ۞ نُجُلُ السَّرَارِي مَعْ ذَوِي التِّيجَـانِ

35- وَلَقَدْ أَبَاحَ اللهُ ذَاكَ لِرُسْلِـــهِ ۞ وَأَتَيْنَهُمْ بِالسَّادَةِ الْأَعْيَـــانِ

36- وَكَفَي بِإِسْمَاعِيلَ قِدمًا مَفْخَـــرًا ۞ وَعَظِيمَ شَأْنِ رَدَّ قَوْلِ الشَّـــانِي

37- وَالْمُحْصَنَاتُ الْمُؤْمِنَاتُ بِقَذْفِهِـــمْ ۞ وَجَبَتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الدَّيَّـــانِ

38- يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ دِينٍ تَنْتَحِـــي ۞ أَأَبَاحَ ذَا دِينٌ مِنَ الْأَدْيَـــانِ

39- وَإِذَا رَأَيْتَ مُوَظَّفِي مَنْ قَدْ مَضَـى ۞ مِنْ صَحْبِ طَهَ الْمُصْطَفَى الْأَعْيَانِ

40- مِثْلَ الْعَتِيقِ وَذَوِي الْفُتُوحِ وَغَيْرِهِمْ ۞ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَـــانِ

41- أَجْرُوا مِنَ الْأَرْزَاقِ كُلَّ مُرَتَّـــبٍ ۞ فِي مُسْتَحَقٍّ وَظَائِعِهِ الْبُلْـــدَانِ

42- مِنْ بَيْنِ قَاضٍ أَوْ مُعَلِّمِ دِينِنَـــا ۞ أَوْ ذَوِي أَذَانٍ مُسْمَـــعِ الْأَذَانِ

43- أَنْصَفْتُ وَالْإِنْصَافُ خَيْرُ غَرِيـــرَةٍ ۞ إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا النُّكْرِ مِنْ أَضْغَـــانِ

44- وَاعْلَمْ بِأَنَّ خِلَافَ نَصٍّ قَاطِـــعٍ ۞ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ بِالْبُهْتَـــانِ

45- بُغْضًا لِدِينِ اللهِ مِنْ مُتَعَنِّـــتٍ ۞ بِرَمْيِهِ لِلْآحَادِ وَالْجُحْـــدَانِ

46- كُفْرٌ بَدَا يُصْلِي الْمُرِيبُ بِهِ غَـــدًا ۞ نَارَ الْجَحِيمِ بِوَاضِحِ الْبُرْهَـــانِ

47- مَنْ قَالَ إِنَّ ذَوِي التَّسَرِّي كُلُّهُـــمْ ۞ مَا مِنْهُمْ إِلَّا أَثِيـــمٌ زَانِ

48- قَدْ خَالَفَ النَّصَّ الْكَرِيمَ بِأَمْرِهِـــمْ ۞ أَنْ يَنْكَحُوا عَنْ مِلْكِ ذِي الْأَيْمَـانِ

49- أَيُبِيحُهُ الْمَوْلَى وَتَمْنَعُ ضِلَّـــةً ۞ هَذَا لَعَمْرُكَ أَعْظَمُ الطُّغْيَـــانِ

50- فَارْجَعْ عَنِ الْمَسْطُورِ مِمَّا قُلْتُـــهُ ۞ وَاسْتَغْفِرِ الرَّحْمَنَ ذَا الْغُفْـــرَانِ

51- أَوْ لَا فَبُؤْ بِخَسَارَةٍ وَنَدَامَـــةٍ ۞ مِمَّا جَنَيْتَ لَدَى عِقَابِ الْجَـــانِ

52- هَذِي نَصِيحَةُ مُشْفِقٍ فِي ذَنْبِـــهِ ۞ أَرْجُوا الْهِدَايَةَ لِي وَلِلْإِخْـــوَانِ

53- لَا سِيَّمَا صَحْبُ التِّجَانِي إِنَّهُـــمْ ۞ شُهُبُ الْهُدَى فِي سَائِرِ الْبُلْـــدَانِ

54- فَهُمُ الْهُدَاةُ إِلَى سَبِيلِ الْمُصْطَفَـــى ۞ وَهُمُ السُّقَاةُ بِأَكْؤُسِ الْعِرْفَـــانِ

55- فَإِلَيْكَ مِرْآةُ الْمَحَاسِنِ أَذْهَبَتْ مِرْآةُ سَوْءَةٍ قَاذِفِ الْأَعْيَانِ

56- وَبِسُنَّةِ الْهَادِي بَدَتْ وَسَبِيلِهِ تَخْتَالُ فِي فَخْرٍ وَحُسْنِ بَيَانِ

57- صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَالتَّابِعِينَ الْآلِ بِالْإِحْسَانِ

وقال أيضا؛ زاده الله من عرفانه فيضا:

1- ابْنُ الْمُؤَقَّتِ جَاهِـــلٌ أَوْ جَـــانٍ ۞ مَنْ ذَا يَسُبُّ أَكَابِرَ الْإِيمَـــــانِ
2- مَنْ ذَا يَكُونُ مُبَرَّءًا مِنَ سَبِّـــــــهِ ۞ إِذْ سَـبَّ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَـانِ
3- أُهْلُ الْمَذَاهِبِ وَالْوَظَائِفِ سَبَّهُـــمْ ۞ وَكَذَا الْمَشَايِخَ مُوقِظُو الْوَسْنَـانِ
4- تَأْلِيفُهُ أُغْلُوطَةٌ وَجِنَايَـــــــــةٌ ۞ مَنْ سَبِّهِ الْأَعْيَانَ بِالْإِعْـــلَانِ
5- أَغْرَاهُ فِي ذَاكَ الْيَهُودُ لِبُغْضِهِـــمْ ۞ دِينَ الْإِلَهِ وَمِلَّةَ الْعَدْنَـــــانِي
6- كُلُّ الْفَوَاحِشِ وَالْمَكَارِهِ كَامِـــنٌ ۞ فِي صَدْرِ ذَا الخِبِّ اللَّعِينِ الْجَـانِي
7- لَا خَيْرَ فِي عَيْشٍ إِذَا مَا شَابَـــــهُ ۞ حَسَدُ الْكِرَامِ وَطَاعَةُ الشَّيْطَـانِ
8- دَجَّالُ أَهْلِ زَمَانِهِ لِتَشَابُهِ الْـــــــ ۞ أَفْعَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْخُسْـــرَانِ
9- وَإِذَا مَشَى تَمَشَّى الطُّغَاةُ بِجَنْبِـــهِ ۞ أَبَدًا تُعَالِجُ قُبْحَهُ وَتُعَانـــــي
10- أَيْنَ الدَّجَاجِلَةُ الْأُلَى أَمْثَالُهُـــــمْ ۞ فِي النُّكْرِ وَالْإِفْسَـادِ وَالْعُدْوَانِ
11- وَلِكُلِّ غَاوٍ غَايَةٌ وَنِهَايَـــــــةٌ ۞ يَا لَلرِّجَالِ مَشَايِـــخُ الْأَدْيَانِ
12- هَلْ لِلْمَشَايِخِ غَيْرُ مَحْضِ شَرِيعَـــةِ ۞ وَدَوَامِ تَقْوَى الْوَاحِـــدِ الدَّيَّانِ
13- مُرَاكِشُ الْحَمْرَاءِ قَدْ قَذَفَتْ بِـــــهِ ۞ مُتَرَدِّيًا ثَوْبَيْ هَوًى وَهَـــــوَانِ
14- يَا أَرْغَمَ اللهُ الْقَوِيُّ بِعَدْلِـــــــهِ ۞ أَنْفًا حَمَلَتْ مَعَ الْخِنَا بِتَـــوَانِ
15- بِالْكُفْرِ نُطْقُكَ لَابِسًا بِرِدَائِـــــهِ ۞ مُتَظَاهِرًا بِالزُّورِ وَالْبُهْتَـــانِ
16- وَبَكَى الْبَيَاضُ لَمَّا كَتَبْتَ حَمَاقَـــةً ۞ مِنْ هَجْوِ أَهْلِ اللهِ وَالْإِيمَـــانِ

17- إِنْكَارُ أَوْرَادِ الشُّيُوخِ غَبَـــاوَةٌ ۞ وَشَقَاوَةٌ تُودِيكَ لِلْحِرْمَـــانِ

18- إِنْكَارُهَا جَهْلٌ وَسَفْسَطَةٌ بَـــدَتْ ۞ لِإِرَادَةِ التَّضْلِيلِ وَالطُّغْيَـــانِ

19- مَا ذَا تُحَاوِلُ بِالْأَبَاطِلِ بَعْـــدَ أَنْ ۞ جَاهَرْتَ لِلْإِسْلَامِ بِالْأَضْغَـــانِ

20- فَالْكُلُّ يُوصِلُ مَنْ أَتَى بِشُرُوطِـــهِ ۞ وَطَرِيقُنَا فَاقَتْ بِهَذَا الشَّـــأْنِ

21- مِنْ حُمْقِهِ شَتْمُ التِّجَانِي شَيْخِنَـــا ۞ فَرْدِ الرِّجَالِ وَمَنْبَعِ الْعِرْفَـــانِ

22- مَنْ لَا يُشَارِكُ فِي عُلُوِّ مَقَامِـــهِ ۞ إِذْ كَانَ فَرْدًا فِي عُلُوِّ الشَّـــأْنِ

23- مَا ذَا يُعَابُ عَلَى امْرِئٍ أَنْفَاسُـــهُ ۞ مَحْسُوبَةٌ بِالذِّكْرِ وَالْقُـــرْآنِ

24- وَقِيَامُهُ اللَّيْلَ اقْتِدًا بِرَسُولِـــهِ ۞ وَصِيَامِهِ فِي غَابِرِ الْأَزْمَـــانِ

25- وَيُخَالُ فِي مِحْرَابِهِ وَسُجُـــودِهِ ۞ مَلَكٌ أَطَالَ عِبَادَةَ الرَّحْمَـــنِ

26- وَلَا خَمْصَيْهِ رِقَابُ أَهْلِ وِلَايَـــةٍ ۞ قَدْ أَذْعَنَتْ فِي السِّرِّ وَالْإِعْـــلَانِ

27- وَحَوَى الْعُلُومَ شَرِيعَةً وَحَقِيقَـــةً ۞ وَطَرِيقَةً فِي أَقْصُرِ الإِبَـــانِ

28- سَاقَ الْخَلَائِقَ لِلْإِلَهِ بِهَدْيِـــهِ ۞ وَأَطَاعَهُ جَمٌّ بِكُلِّ مَكَـــانِ

29- وَيَبِيتُ غَرْثَانُ الْوِشَاحِ تَعَبُّـــدًا ۞ وَتَكَرُّمًا نَاهِيكَ مِنْ غَرْثَـــانِ

30- هَذَا الَّذِي سَبَّ الْخَلِيعَ طَرِيقَـــهُ ۞ بُغْضًا لِأَهْلِ اللهِ وَالْإِيمَـــانِ

31- أَعْدَاؤُهُ شَرُّ الْخَلَائِقِ إِذْ هُـــمُ ۞ أَعْدَاءُ طَهَ الْمُصْطَفَى الْعَدْنَانِـــي

32- كَمْ غَارِفٍ مِنْ بَحْرِ شَيْخِي غَارِقٌ ۞ مُتَدَفِّقٌ بِمَوَاهِبِ الْمَنَّـــانِ

33- يَا مَنْ يَرَى النُّقْصَانَ فِي أَوْصَـــافِهِ ۞ شَمْسُ الضُّحَى تُخْفِي عَلَى الْعُمْيَانِ

34- وَالْوِرْدُ طِيبٌ فَائِحٌ لَكِنَّـــــهُ ۞ ضَرَرُ الْخَنَافِسِ بَلْ رَدَى الْعَجْلَانِ

35- **تَعْشُو الخِفَاشَ لَدَى النَّهَارِ وَفِي الدُّجَا** ۞ كَعُقَابِ جَوٍّ نَاظِرٍ رَنَّـــانِ

36- قُلْ لِلَّذِي يَنْفِى الطَّرِيقَةَ ذِلَّـــــةً ۞ قَلْبُ الْحَقَائِقِ حُجَّةُ الْبُطْـــــلاَنِ

37- وَنَفَى الْحَلَالَ عَنِ الْأَنَـــامِ وِلَادَةً ۞ وَبِدَا أَبِيهِ رَمَى ذَوِي الْإِحْسَـــانِ

38- وَكَذَاكَ أَهْلُ الْبَيْتِ قَدْ يَنْفِيهِـــمْ ۞ بِكِتَابَةِ الْمِرَاءَةِ لِلْخُسْـــــرَانِ

39- فَحَذَارَ عَنْ بَيْتِ النَّبِيِّ وَسَبِّـــهِ ۞ فَسِبَابُهُمْ يُودِي إِلَى النِّيـــرَانِ

40- وَأَرْتْهُ مِرْآةُ الْمَسَاوِي ذَاتَـــــهُ ۞ فَيَخَالُ كُلَّ الْكَـــوْنِ فِي أَدْرَانِ

41- فَرَأَى البَرَا مِنَ الْأَنَامِ كَنَفْسِـــهِ ۞ بِتَلَطُّخِ الْأَشَامِ وَالْعِصْيَـــانِ

42- وَأَبَاحَ أَعْرَاضَ الْخَلَائِقِ جُمْلَـــةً ۞ مِنْ مُسْلِمِي ذَا الْعَصْرِ فِي الْبُلْـدَانِ

43- تَبًّا لَهُ وَلِحِزْبِهِ وَمُحِبِّـــــهِ ۞ أَوْ مَنْ يُؤَدِّ كَلَامَهُ بِجِنَـــانِ

44- أَوْ مَنْ أَعَانَ بِطَبْعِهِ أَوْ نَشْـــرِهِ ۞ فَعَلَيْهِمْ لَعْنٌ مَدَى الْمَلَـــوَانِ

45- يَحْكِي الْيَهُودَ بِمَنْظَرٍ وَمَذَلَّـــةٍ ۞ وَتَعَالُجِ السَّفْسَافِ وَالنُّقْصَـــانِ

46- وَيُخَالِطُ الْأَوْبَاشَ فِي أَنْدِيَةِ الْـــ ۞ ـفِسْقِ دَأْبًا أَوْ شَرَابِ دُخَـــانِ

47- وَثَنَى الْعِنَانَ إِلَى الشَّرِيفِ يَسُبُّـــهُ ۞ شَيْخِ الْمَشَايِخِ غُرَّةُ الْأَزْمَـــانِ

48- لِصِحَابِهِ فَوْقَ التُّرَابِ مَجَامِعُ الْـــ ۞ أَذْكَارِ وَالتَّرْتِيلِ لِلْقُـــرْآنِ

49- وَتَرَاهُمْ مُسْتَغْرِقِينَ لِذِكْرِهِـــمْ ۞ ذِكْرٌ يُقَرِّبُ حَضْرَةَ الرَّحْمَـــنِ

50- ذِكْرٌ مِنْ أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ خُرُوجُـهُ ۞ مِنْ بَعْدِ فَتْحِ حِجَابِهَا بِعِيَـــانِ

51- وَعَدَ النَّبِيِّ لَهُ غَدًا وَلِصَحْبِـــهِ ۞ مَا صِينَ عَنْ إِظْهَارِهِ بِلِسَـــانِ

52- أَصْحَابُهُ صَحْبُ النَّبِيِّ كَرَامَـــةً ۞ وَجَلَالَةً رَغْمًا لِأَنْفِ الشَّانِـــي

53- وَلَنَا بِهِ عِنْدَ اللهِ عِنَـايَـــــةٌ ۞ صِينَتْ عَنِ الْأَسْطَارِ وَالْإِعْـــلَانِ

54- مِنَّا الْكِرَامُ الْعَارِفُونَ بِرَبِّهِـــمْ ۞ لَا يَعْبُدُونَ لِنَيْلِ دَارِ جِنَـــانِ

55- بَلْ يَعْبُدونَ مَحَبَّةً لِجَمَالِـــــــهِ ۞ وَجَلَالِهِ وَمَحَبَّةِ الرِّضْـــــــوَانِ

56- مِثْلَ الْخَلِيفَةِ ذِي الْجَوَاهِرِ زِينَـــةً ۞ بِتَرَائِبِ الْأَقْرَانِ وَالْإِخْـــــوَانِ

57- رَوْضُ الْمُحِبِّ وَمَا حَوَاهُ وَجَامِـعٌ ۞ لِإِمَامِنَا المِشْرِيِّ ذِي الْعِرْفَـــانِ

58- وَالْغَيْرُ مِمَّنْ لَا يُخَاضُ بُحُورُهُـــمْ ۞ بِمَشَارِقٍ وَمَغَارِبِ الْأَوْطَـــانِ

59- وَفِجَاجُ مَكَّةَ يَعْرِفُونَ صِحَابَـــهُ ۞ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَـــانِ

60- وَأَنَا خَدِيمُ جَنابِـــــهِ وَمُكَافِـحٌ ۞ جَمْعُ الْعِدَى بِالضَّرْبِ أَوْ بِطَعَـــانِ

61- لَبَّيْتُ دَعْوَةَ شَيْخِنَا وَمُحِبِّنَـــــا ۞ لِأَقُومَ قُرْبَ مَقَامِهِ لِيَرَانِـــــي

62- ذَاكَ الْوَلِيُّ سُكَيْرِجُ أَسْكَنْتُـــــهُ ۞ بِصَمِيمِ قَلْبِي دَائِمِ التَّوْقَـــــانِ

63- فَلَدَيْكَ فَاطْلُبْ لِلْمَسَبَّةِ أَهْلِـهَـــا ۞ يَا ابْنَ الْمُوَقِّتِ لِلْهَوَى وَهَـــوَانِ

64- ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِـــــهِ ۞ وَصِحَابِهِ مَا أَشْرَقَ الْقَمَـــرَانِ

فهرس المحتويات

1. كَلِمَةُ النَّاشِرِ.....5

2. تَمْهِيدٌ.....9

3. تَرْجَمَةُ الْمُؤَلِّفِ.....23

4. مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ.....31

5. قَائِدُ الْجُيُوشِ يُسَاجِلُ بِصَارِمِ الْبَيَانِ.....33

6. دَوَاعِي وَدَعَائِمُ الرَّدِّ.....35

7. الإِنْسَانُ بَيْنَ قَائِدِ السَّعَادَةِ وَصَارِفِهَا عَنْهُ.....39

8. التَّمَسُّكُ بِعُرَى أَهْلِ الْوِلَايَةِ.....41

9. الْمُرْهَفَاتُ الْقُطُّعُ لِلذَّبِّ عَنْ حِمَى الشَّيْخِ التِّجَانِيِّ.....45

10. دَحْضُ دَعْوَى الْكِتْمَانِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ الْأَمِينِ.....48

11. الْعِلَّةُ وَالْمَعْلُولُ يَدُورَانِ وُجُودًا وَعَدَمًا.....55

12. تِبْيَانُ أُكْذُوبَةِ تَفْضِيلِ صَلَاةِ الْفَاتِحِ عَلَى الْقُرْآنِ. 67

13. المُنْكِرُ عَلَى الْمُصِيبِ مُخْطِئٌ.....76

14. وَصْفُ التِّجَانِيِّينَ بِالْكَسَلِ وَالْاِتِّكَالِيَّةِ بُهْتَانٌ مُبِينٌ.....85

15. إِمْكَانِيَّةُ رُؤْيَةِ الرَّسُولِ يَقْظَةً بَعْدَ وَفَاتِهِ.....89
16. رُؤْيَةُ النَّبِيِّ حَقِيقَةٌ مُجَرَّبَةٌ.....95
17. نُزُولُ صَلَاةُ الْفَاتِحِ مِنَ الْمَلَإِ الْأَعْلَى.....99
18. مَقُولَةُ: "قَدَمَايَ هَاتَانِ عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ".....103
19. خَتْمِيَّةُ الشَّيْخِ التِّجَانِيِّ لِلْأَوْلِيَاءِ مَقَامٌ ثَابِتٌ
بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ.....108
20. لَفْظُ الْوَحْيِ بَيْنَ الْخُصُوصِ وَالْعُمُومِ.....115
21. ثَوَابُ صَلَاةِ الْفَاتِحِ مَحْفُوظٌ مِنَ الْإِحْبَاطِ.....119
22. ضَجَّةٌ مُفْتَعَلَةٌ حَوْلَ لَفْظَيِ الْأَسْقَمِ وَالْمُطَلْسَمِ.....122
23. فِرْيَةُ انْتِشَارِ الطَّرِيقَةِ لِفُشُوِّ الْجَهْلِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.....127
24. مُقَاطَعَةُ بِضَاعَةِ الْإِفْكِ وَالْفِتْنَةِ.....135
25. مُنَاجَاةٌ لِاسْتِمْرَارِيَّةِ الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ فِي عَقِبِهِ.....136
26. خَاتِمَةٌ نَافِعَةٌ.....140
27. تَقَارِيظُ الْكِتَابِ.....143
28. مُلْحَقُ الْكِتَابِ.....153